(مراقبة)

☆

(مراقبة) عظمة اشبه بعظمة الشموخ ، هذه لها الزهو والفخر والحدو وازميل الناحت واكليل التأمل والانتشاء ، وتلك لها ينابيع من الجراح تتفجر في ينابيع ، ومصابيح من الدخان الدامي تتدفق في مصابيح ، وانين كأنه انين الصلاة ودعاء كأنه دعاء الابتهال .

نفرح في هذه ليشدد السرور قوائمنا الى الحق وليبسط ألويتنا المصفقة على الجمال ، وليمد اشرعتنا على آفاق الآفاق .

ونتألم في تلك ليكون الالم رادعنا عن الاسراف والاتراف ، (مراقبة)

(مراقبة)

(مراقبة)

(مراقبة)

والامم مواسم ، ماحلٌ وخصب . .

تأكل بشهية من ثمار خصبها لتجوع بشهية في ساعات محلهـا . والذين لا يجوعون بشهية هم الذين لا يشبعون بشهية ، فقد ركبت اسنانهم في امعائهم تأكل مصاير الناس وكأنها تأكل النار المقدسة . فتتمزق الامعـاء وتسلم اللهب وتظل (مراقبة) عدة ليوم الانتصار .

فلتعلمنا المحنة الدامية المريعة كيف يكون دفع المحن ، (مراقبة) .

جرح وفي وادي الجرح تنبت شجرة العافية .

(مراقبة)

(مراقبة)

(مراقبة)

(مراقبة) .

مسالمون في مستنقع الموت ، محاربون في مستنقع السلم .

من الصهيونية يجب ان نتعلم كيف ندحر الصهيونية ، من سياسة الاستعمار يجب ان نتعلم كيف تكون سياسة الاستقلال .

منذ الف جيل وجيل وهذا الصهيوني التائه العنيد ، يعمل ليبني دولة وهو لم ير ترابها ولم يشاهد خصبها ولا يبابها ويأتي على جهل الطريق وعمق المضيق ليموت في ظمأ الحربة وظمأ النار وحقد الجيرة . يعمر ليتحصّن ، ويندفع في تيار اللهيب ليضيء سراجه المنشود ويقيم شعوب الارض ويقعدها في مطلبه ومأمله .

ونحن مطلبنا واضح ومأملنا واضح ، واقدامنا على ارضنا (مراقبة) فلنتعلم كيف نبني منذ الساعة ساعة الانتصار .

لتتحرك اقدامنا لا في اكفان بالية (مراقبة) ، بل في مناهج تجدد في نفوسنا روح التجدد وتشيد في صدورنا روح الفداء .

لن ينقذنا من قبضة الصهيونية الا فن الصهيونية .

والسمّ دواء يتداوى به الناس من انياب الافاعي والثعابين ، ومن الحواة (مراقبة)

(مراقبة) .

لنا الغد ، للذين يؤمنون ان الوطن ليس ارضاً ولا ماء ولكنه عقيدة وضياء ، ورجاء ، وبناء .

الياس خليل زخريا

من باريس الى سلوى

مع الجنية في وادي شفريز

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

☆

انتثرت اوراق القمر في مخارف الغابة السامقة ، وشبحي النحيل تلهث انفاسه الذابلة من فوط ما يهوني سحابة اليوم الضحيان من الوان الفتون .

وكانت تسير الى جواري مأساة بشرية من تلك التي يعرفها الناس جيداً في هذه البلاد : فتاة في ريق العمر فيها وفرة من جمال وفتنة ، وفيها على ذلك فقر فيا عداهما : في الثقافة فلم تحصّل الا أولياتها ، لانها لا تملك ما تستطيع ان تستعين به على الاستمرار فيها وهي آمنة على قوت يومها ، والا فهي آية في حدة الذكاء ، وفي عراقة النسب ، فهي لا تنتسب حتى الى الجنس العادي من الناس ، انما الى ذلك الجنس الفريد الشاذ المنتشر في انحاء اوروبا ، مكوناً أمة قائمة برأسها بالرغم من اعتزائهم الرسمي الى هذه او تلك من الدول الاوروبية ، وهو جنس « النوَر » الذي يؤلف مملكة على رأسها ملكة تنتخب كل عام في كل اقليم . ولئن كانت صاحبتنا هذه لم تعد صريحة النسب اليه — في مظهرها — لان لهم زياً خاصاً يمتاز بطول الثياب ورداء للرأس من القماش ، اشبه ما يكونون بالاكراد في بلادك يا سلوى ! ، بحيث لا يخطئهم المرء ان رآهم يخطرون في طرقات باريس — نعم ، لئن كانت صاحبتنا ليست منهم في مظهرها ، لانها ليست محض النسب فيهم ، انما تدّعي اليهم من ناحية امها فحسب ، فان عرقهم ينزعها نزعاً كاملًا : ففي اعماق روحها ترقد تلك النفس الشاردة الموحشة التي تهفو الى الجريمة ، وتستعذب العذاب ، ويستويها الشاذ في كل مرفق من مرافق الحياة : فيها اضطراب اشبه ما يكون بالنزق ، وفي حركاتها فراهات شيطانية بحيث لا تستطيع الاستقرار عند عمود من أعمدة الرأي في أمر من الامور . تجلسين اليها حيناً فتبدهك بلوامع خواطرها ، وتأسفين على انها لم تحصل من الثقافة قدراً موفوراً ، لانك تستشفين من ورائها مخايل امتياز روحي لا شك فيه ، ثم لا تلبثين بعد لحظات ان ترتدّي عن رأيك فيها فلا تستطيعين ان تكوني على بيّنة من حقيقتها . وقد يطمئن الهوى اليها فيوطيء لها اكناف ثقته ، لكنه لا يكاد يستنيم اليها لحظة حتى يستروح مناسم الظنة تطوف بكل احوالها . لهذا طالما حرت في أمرها ان امسكتها على هون تمردت ، وان أغلظت لها القول غلبتني شائمة الندم لانها تستثير من العطف ببقية مواهبها ما يحمل على الرثاء لها .

لهذا كان موقفي منها عجباً حقاً ! لقد عرفتها ذات ليلة وهي تطلب القوت الرخيص باهتزازات سقيمة من بدنها الريان ، في مرقص هزيل من تلك المراقص العديدة المختنقة الانفاس في حي باريس العتيق الذي حدثتك عنه من قبل . وكان يجذبها الى هذا الحي ، بما تسوده من روح شرقية خالصة ، ميل غريب يتصل بأعماقها ، مما يدل على ان ثمت واشجة قرابة بين روحها الخاصة ، وبين تلك الروح الشرقية ، ولعل معقد الصلة هنا انحدار جنسها الاصيل من بلاد الشرق في زحف المغول الهائل على اوروبا الشرقية . فضلًا عن ان امها من اقليم بريتاني في غرب فرنسا ، والجنس البريتوني جنس كلتي ذو نزعة صوفية حادة ، وتغلب عليه النوازع الخارقة ، ويحيا دائماً في عالم جني على صلة قائمة بالاشباح والعناصر النارية الاولية . وفي هذا كذلك ما يجذبها الى الروح الشرقية ، والشاهد على هذا ان كثيراً من البريتون Bretons ، اي من انحدروا من اقليم بريتاني في غرب فرنسا ، لهم رسالة الشرق vocation pour l'Orient اي انهم يستطيبون روحه ، ويهفون اليها : ويكفينا ان نذكر اسماء شاتوبريان — والقوم كما تعلمين يحتفلون هذه الايام بمرور مائة عام على وفاته في الرابع من شهر تموز (يوليه) سنة ١٨٤٨ — الذي

سجل هذه النوازع في رحلته الرائعة من « باريس الى القدس » ثم ارنست رينان ، واخيراً – وليس آخراً – استاذنا ما سينيون ، الذي يرجع اغلب وله بالشرق الاسلامي الى تغلغل الروح الهيتونية في اعماقه ، وهي روح صوفية بينها وبين روح الشرق مساسكة رحم وثيقة .

ففتاتنا هذه كانت اذن ذات آصرة مزدوجة بالروح الشرقية فلم لا تغرق في اعماقها بين الاحياء المشلين لها في المدينة العالمية الحافلة ، باريس ؟! لهذا سرعان ماتبين لي ان عملها في تلك الاماكن المستشرقة لم يكن بدافع الحاجة المادية وحدها ، بل وكذلك بدافع النزعة الروحية ذات الوراثة المزدوجة الكامنة في زوايا لاشعورها . وآية ذلك كله انها كانت لا تهفو في صلاتهـا لغير الشرقيين ، وتنفر بطبعها من كل ما هو غربي ، وان لقيت من الشرقي سوء العذاب ، ومن الغربي كل احتفال . ماذا اقول ! لقد شاهدتها بعيني تقبل على الشرقي وهو يجلدها ويسومها الخسف والايذاء الشنيع ، وتطوي كشحاً عن معسول الاغراء المتحلب من لسان الغربي وحركاته . شاهدت بعضاً من هؤلاء الشرقيين يضربونها ضرباً مبرحاً حتى شوهوا وجهها الناعم بألوان عديدة من الجروح المثخنة ، حتى انني ذات يوم وعليهـا دم ناقع يتحدر على خديها المستديرين بشكل غزارة ، وكان ذلك في منتصف الليل ، فضمدت لها جراحها ما وسعني ، وتركتها راقدة ونهضت الى عملي في الصباح الباكر بعد ان اتعدنا في الظهيرة مكاناً للغداء . فاخلفت وعدها – على غير عادة – وآويت الى بيتي ، وفي الطريق وجدتها في صحبة اولئك الذين اثخنوها بالجراح عشية الامس !!

بيد انها ليست نسيج وحدها في هذا ! بـل كثيرات هن اولئك الباريسيات اللواتي يشبهنها في هذا كل الشبه : كلهن لا يستهويهن الا اولئك الذين يتزعم عرق الشرق على اية صورة . وان فتشت عنهن وجدت ان ثمت عاملاً فعالاً في هذا ينتسب الى الوراثة والعنصر : فهن اما مولدات مباشرة من أب فرنسي او ام فرنسية وآخر من جنسية شرقية او غريبة مثل السنغاليين وابناء المرتنيك وموريس والانتيل ، واما ينحدرن من اصلاب النّور ومن اليهم ، وقد يواكب هذا انتساب الى الجنس الهيتوني والكلتي عامة .

وانت تعلمين ميلي العنيف الى هذا النوع من الطبائع الشاذة التي تصطلح عليها اضداد من العناصر والوراثات . وما اخصب باريس في هذا النوع ، خصوصاً بين من يسكنون الشاطىء الايسر في القسم الخامس وما يضرب حواليه ! لهذا سرعان ما اقبلت على فتاتنا الراقصة تلك، طمعاً في استكشاف هذا العالم النفسي الممتاز .

عرفتها في المدينة ، وللمدينة خصوصاً ان صارت مدينة عالمية مثل باريس ، عواملها المحددة في تكوين النفسية ، وأنا اريد اسقاط هذه العوامل لتخلص لي روحها بكل معقّدهـا النفسي الفريد ، فأخذتها معي الى ارباض باريس . وما اروع ارباض باريس ! انها اجلّ عندي الف مرة من باريس بغاباتها ومخارفها وطرقاتها الفسيحة وحدائقها من التويلري حتى بستان مونصو . وحارت نفسي في الخيار بين هذه المفاتن الزاهية كلها ، ثم استقرت عند ضاحية تدعى شفريز Chevreuse تستقل لها قطار خط الاختام ligne de Sceaux امام حديقة اللوكسمبور ، وتبعد ٣٢ كيلومتراً من باريس .

كانت الساعة ساعة المغيب بعد نهار قائظ في شهر ايلول وكان الطلاب عائدين الى مساكنهم في المدينة الجامعية وقدودع كل رفيقته بقبلات حارة ما ارخصها في باريس حتى كادت تفقد كل معناها ولا تفترق في شيء عن المصافحة باليد او الاشارة بالسلام ، قبلات تبودلت من باب اللكسمبور او طوال شارع القديس ميشل وفي مداخل المحطة وكان الجو في ذلك المكان يعبق بأنواع من الروائح اندرها الروائح العطرية النسوية الصناعية، وأغلبها الروائح – العطرية؟ نعم ، بل في أنوف بعض الناس : العطرية جداً – النسوية الطبيعية !! ونزلنا في سان ريمي لاشفريز St. Remy - Les - Chevreuse ومنها ركبنا الحافلة التي اقتادتنا الى شفريز .

كان القمر بدراً او ما يشبه البدر . فأنى لي بالنوم والليل ساج والغاب موحش ، والقنوات انيقة تصاعد منها روائح طحلبية تبثّ في كياني عنصر النبات ، هذا العنصر الذي أميل في اعماقي اليه ، وطالما فضلته على عنصر الحيوان ! لهذا ما فرغنا من العشاء حتى اندفعنا نطلب النور الظليل في احضان الوادي ، وارى شفريز المدينة ساكنة ، لولا موسيقى فرقة المطافىء تعزف في نديّها على عادتها مرة في كل اسبوع . ويممنا شطر القصر العتيق ، قصر دوقة شفريز التي كان لها ما كان من احوال عنيفة مع ملوك فرنسا في القرن السابع عشر ، حتى دمر قصرها او كاد لويس الرابع عشر . الطريق لولبي يخترق الغابة التي تفصل بين القرية والقصر في جهد وعنف . والاشعة الفضية تعاور الاشجار البـاسقة ، فحيناً تزاور عن القصر ذات اليمين ، وحيناً آخر تقرضه ذات الشمال ، فيتلاعب هذا كله بالنفس فتنثال فيها خواطر عذاب . فلما أعيانا السير – ولما

نبلغ القصر – رقدنا على تلة من العشب الكثيف، وسألتها الانشاد فراحت تسوق أغاني شعبية – اعني شائعة مصرية – فوجدتها في غير مجالها، ورحت انا القي على مسامعها قصائد من محفوظي الكثير، ثم أرعت سمعها خصوصاً الى إنشادي قصيدة « بيت الراعي » لالفرد دفني، واستهواها منها خصوصاً هذه الابيات: « وانت ايتها الغادية الرخية، أولا تودين ان تحلمي على منكبيّ واضعة عليها جبينك.»! فظلت تستعيد هذه الفقرة مراراً – نعم ولم لا تفعل هذا وما أكثر ما ترجوه الا ان تكون دائماً غادية مسافرة تذرع البلاد، شأن جنسها الشارد! ومع ذلك فالمدينة تدعوها كيما يستقر جبينها على منكب يحمل عنها عبء تلك الحياة. فهذا التعارض بين الترحل وبين الاخلاد الى منكب انساني؛ هو الرمز الحي لحالها، او المعادلة الكيميائية لمركبها النفسي المعقد الغريب كأنها شعرت في تلك اللحظة بهذا الصليب القاسي الذي تحمله دائماً في روحها، فاندفعت الدموع الحارة الغزار من مقلتيها الواسعتين في خدها الناعم المتورد. هنالك غشيني استسلام هائل؛ سترنا معاً واظلّنا بجناحين من التفكير والحلم، فلم نفق الا وقد تبلج الفجر من خلال الطريق الضيق في الغابة فعدنا ادراجنا الى الفندق، ورقدنا حتى الصباح الضاحي.

وفي ضحوة الغد عدنا نتلمس الطريق الى القصر فنستشرف الى هذا الوادي الراقد تحت الشمس القوية في استسلام لذيذ.

وقصر المادلين Madeleine هذا كما يسمونه لم يعد باقياً منه اليوم سوى اطلال يمكن ان تنقسم ثلاثة اقسام: السجن، والهرجان، وجناح راسين. اما الهرجان فيحتوي كل منهما على غرف مستديرة بعضها فوق بعض، ثم يشرف المرء من فوقه على الوادي كله، وقد امضيت فوقه وقتاً طويلاً مستمتعاً بما يهيء للعين من متعة زاهية تمتد على مدى البصر.

اما جناح راسين فيعيد الى الذاكرة تلك الايام الناعمة الخصبة التي قضاها ذلك الشاعر الرقيق الاحساس المشبوب العاطفة الدينية، ذو الطلاوة اللفظية التي ترنّ في الاذن كأنها انغام روسيني: نفس طويل وايقاع ناعم، وصوت بلوري. وما اشبهه في هذا بملتن Milton. أترى للاناشيد الطقوسية Chants Liturgiques هذا التأثير العميق في الشعر بحيث انتجت لديها، وفي النثر لدى شاتوبريان ورينان، هذا السحر اللفظي الخارق؟ وهل بدأ اعجابي الحار بالشعر الفرنسي الا يوم هدهدت مسامعي الطفلة – لقد كنت في الخامسة عشرة – ألحان مسرحية أتاليا Athalie؟! لهذا سرعان ما انثالت على أطياف الذكرى لريق الشباب لما ان كنت مأخوذاً بموسيقى شعر راسين. فدخلت الغرفة التي ظل يقطنها عهداً طويلاً في هذا القصر وفي ذهني كل هذه الذكريات، ونفسي عامرة بأنغامه. والغرفة – كما انبأني الحارس، – لا تزال على حالها الا في اثاثها طبعاً – كما كانت في ايام راسين، لكن يحلو لهذا الحارس وزوجه العجوز مع ذلك ان يسكناها بعض السكنى.

وخرجت من حرم القصر مقتفياً آثار راسين، فوجدت قبالتي ذلك الطريق الطويل الذي كان يقطعه راسين كل يوم غادياً الى دير بوررويال او عائداً اليه في المساء، بعد ان يكون قد اخذ زاده العميق من التقوى والثقافة والقداسة التي تشع في ذلك الدير العتيق الذي طالما افاض القداسة والعلم، فأخرج للناس راسين وبسكال واضاء في سمائه ارنو ونيقول ولانصلو، اعلام الزهد والعلم فيه. وربما عدت فقصصت عليك طرفاً من انبائه وما فعلت به الايام.

الطريق يبدأ من القصر ويطلقون عليه اسم « طريق راسين » Chemin de Racine وينتهي الى دير بوررويال المتداعي، وعند بدايته لوحة عليها اربعة ابيات من شعر راسين يمجد بها هذا الوادي والجبال فقال: « ما أبهج نفسي في هذا الاقليم بين هذه الجبال! » والحق ان المنظر من هذه الرابية التي ترتفع عن القرية بما يقرب من ثمانين متراً يأخذ بالالباب حقاً: فها هوذا قصر دانبيير Dampière يرف في رؤيا الخيال الناعس عند حافة الافق، ونهير الايفت Yvette التي ترقد شفريز على ضفته اليسرى ينساب كالحية الرقطاء في الوادي الزاهي، والكنيسة التي طال تجديدها –، وكان عهدها يرجع الى القرون الثاني عشر والرابع عشر والخامس عشر – تهز بجلال بيت ناقوسها بين تلك البيوت العتيقة، والضاحية كلها – شفريز – متلفعة بالغابات المحيطة بها، ومن حولها سهول خصبة أمرعت وتطاول نبتها، وراح المحراث ينقب عن دفائن كنوزها، واهلها – ولا يتجاوزون الفاً وثمانمائة رجل وامرأة – فيهم دماثة واحتجاز.

سرنا بين الغابات فأطلنا السير، وسالت بأعناق احاديثنا تلك الاباطح الفاتنة، واستروحنا انسام الطبيعة والتاريخ في كل موضع حللناه في هذا الوادي.

حقاً لقد قضيت وقتاً عامراً بألوان شتى من الاحساس الغريبة المتناقضة، ولا عجب فقد كنت مع جنّية في واد يزخر بالاطياف الشيطانية. ولعل في هذا ما يشيع الطمأنينة في نفسك؛ فان تظني صلتي بها الا ما تكون صلة إنسي بجنّية.

باريس عبد الرحمن بدوي

جرح عميق

مهداة الى روح ابي العلاء

☆

يا جراح المساء جرحي اعمق ْ   فدعي صرختي تضج وتأبق ْ
فورة الشك تعتريه فتنزو   من حناياه .. آهة تتمزق
واذا الشك في الجراح تمشى   حطم الفكر كل سر مغلق
ايه يا ليل ذاك شأن جراحي   كلما حلّق الخيال وصفق ..
انا اغمدت مدية الشؤم في قلبي فصاحت احلام نفسي ... ترفق ...
ونثرت الاوهام في كل افق   ونصبت الشكوك في كل مفرق .
غابة الصمت رحبت بطيوفي   وجبين الآفاق أسنى وأشرق
وتعرت اسرار نفسي كأني   عاشق فوقه الرؤى تتدفق
هكذا ترفع الكآبة للروح سجوفاً منهـا القداسة تعبق
حيث طيف المجهول يلتحف الصمت بعين يقظى وجفن مؤرق
عـالم تسبح الهواجس فيه   وخضم فيه القوافل تغرق
فارقصي يا رياح حول شراعي   وابسمي يا جراح سحرك يعشق
ان جرحي ثغر لنفسي ونفسي   ثغر من فتق الجراح وارهق
فاسمعي يا رعود لحن اباثي   واتسع يا فراغ صوتي مطلق
فار جرحي زلازل الحق مادت   ونداء الاعماق بالخير أغدق
وترامى من موقدي سيل نار   تحسب الجو من شظاياه أطبق
يا جراح المساء ما انت الا   جمرات من جذوتي تتألق
انت وهج الحنين في كل نفس   ووميض الجراح في كل مأزق
انا فيـك انطلقت ابحث عن سر خيـال في صمته التحقق
انا كحلت بالخلود جراحي   وتلاشيت في اللهيب الازرق .

مصطفى الغفور

قبر يثور

بقلم رياض طه



ثائرة

ضيعة « العين » منذ ان احتضرت الشمس، خائرة القوى، منهوكة، وسنى، واوشكت ان تطبق عينيها المثقلتين بالدمع. لقد اجهدت الضيعة نفسها هذا اليوم اذ شيعت في النهار جنازة فتاها « ملحم جابر » وها هي « العين » الثكلى، وقد لفها وشاح الحداد ووشاح الليل، يجول بين حنايا ضلوعها نفس حزين، ينطلق هنا وهنالك، في احاديث خافتة، وتنهدات عميقة، وزفرات متقطعة.

وهنا في بيت « مصطفى الحاج » انتظم عقد من الرجال والنساء جبته « علياء » فاتنة الضيعة. فقد جلس هؤلاء يسمرون على ضوء قنديل زيت باهت الشعاع. انهم يتحادثون، في اكتئاب باد، معددين مزايا « ملحم » ومشيدين ببطولاته.

واخرس « مصطفى » طقطقات سبحته ثم هز رأسه تكراراً، في تأثر عميق، وقال:

— ما أقسى الاقدار! . لقد وصل « الدكتور شريم » الآن الى بيت المختار قادماً من « الفاكهة » فاظهر الأسى والاسف واستغرب كيف مات « ملحم » فجأة على الرغم من قوة بنيته ونضرة صحته، لقد كان الحكيم مدعواً للغداء على « جسر العاصي » فما ان عاد الى « الفاكهة » وعلم بموت « ملحم » حتى امتطى فرسه وجاء الى « العين ».

سبحان الله! .. هذه اول مرة يغيب فيها الحكيم عن « الفاكهة » يوم الاحد. فلو اننا وجدناه في ضيعته في الصباح لكان من المحتمل ان يشفي الله « ملحماً » على يده .. من يدري!.

ولكن .. ما لنا ولهذا الكفر! من له عمر لا تقتله شدة.. لكل انسان يوم يموت فيه، ومتى وقعت ورقته قضي الامر..

وصمت « مصطفى » هنيهة ثم التفت الى ابنته قائلاً:

— مسكين « ملحم »! .. لقد كان دائماً يلقبني « أبا علياء » ويأبى ان يدعوني « ابا علي » ..

فتنهدت « علياء » وقالت بحسرة:

— الموت نقاد يا ابي .. ان عزرائيل لا يختار الا احسن الناس. لقد انتقى من « العين » اشجع شبانها وترك اشباه الرجال.

وعندئذ ابتسم « حميد مروش » وكبت ضحكة ساخرة وغمغم بعض كلمات.

فازوت « علياء » ما بين حاجبيها مقطبة وقالت:

— مالك تضحك وتأكل لسانك يا « حميد »؟ . تكلم!.

— ماذا تريدين ان اقول بعدان حقرت جميع فتيان « العين »؟. الناس لا يمدحون ولا يعظمون احداً الا بعد موته..

حينذاك احمرت وجنتا « علياء » وقالت بحدة:

— والناس لا يذمون ولا يحقرون احداً الا في حياته! فقاطعها ابوها غاضباً: — عيب يا « علياء »! .. انه في بيتنا .. فسكتت على مضض، فقال « سالم محفوظ »:

— هو الذي يهين نفسه .. انه يريد ان يتشبه بالمرحوم « ملحم » .. فصاح « حميد » نزقاً:

— « ملحم »! .. « ملحم »! .. « ملحم »! .. فهمنا. صدقنا .. آمنا! .. أليس في الناس غيره؟ أهو اشجع من سواه؟. هل استطاع ان يشيل المحدلة مثلي في عرس « مهنا الفران »؟.

وقهقه « سالم » قائلاً:

— الشجاعة في قوة القلب لا في قوة الساعد .. فانتفض « حميد » يجيب:

— انا اشجع من الف « ملحم »!.

وهنا ضحك الحضور جميعاً، وقال « مصطفى » بهدوء:

— اذن .. « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » .. فقال « حميد »:

— انا حاضر .. امتحنوا جرأتي وشجاعتي! .. انا مستعد ان احطم اكبر رأس!..

واجابه « سالم » باسماً بمكر واستهزاء: — نجوك .. لا تحطم رأس احد .. الناس لا يستغنون عن رؤوسهم! ..

وران الصمت هنيهة، ثم التفتت « علياء » الى « حميد » تقول:

— ما دمت تزعم لنفسك الجرأة والشجاعة، فهل لك ان تتفضل الآن بزيارة التربة لتغرز وتداً في قبر المرحوم « ملحم جابر ».

فتبسم « حميد » ساخراً وقال:

— هل تحسبينني امرأة؟! .. هاتي الف وتد لاغرزها في الف قبر! ..

***

« طب .. طب .. طب ».

لم يكن « حميد » يسمع سوى وقع

خطاه واصدائه المتجاوبة في الابعاد .. ومر ببركة ماء مجاورة للقبور فعربد في اذنيه نقيق الضفـادع فداخل نفسه شيء من الفزع .. فارتد يسير في طريق اخرى .. ولكنه ما لبث ان ارتجف اذ خرمت مسمعه وزوزة صرصر صادح .. فارتد ثانية يسير في منعرج بعيد . وتابع سيره الحذر وقد شعر بوهن في ساقيه وشبه اصطكاك في ركبتيه .

وفي لحة مفاجئة قفز كلب كبير اسود في دربه فاهتزت اعضاء جسمه واستمرت ترتعش دون ما ركود . واخذ يلوّح بالوتد بيده اليمنى .. ثم وقف يخاطب نفسه بصوت عال متكلف القوة :

– لماذا اخاف ؟ .. من اخاف ؟ .. الاموات ؟ . انهم جثث هامدة .. انا اقوى منهم ! ..

وجذب عروق جسمه ، واعتمد اعصابه ، وصلّب عضلاته ، وتابع الخطو مجاجلًا بقدميه . ثم طفق يغني غنـاء عنيفاً بصوت مرتفع ونهات مشددة ..

واشرف على قبر « ملحم » ، فمثلت في ذهنه افواج الرجـال الذين كانوا يتزاحمون الى حمل نعش « ملحم » في النهار قبلما ودعوه تلك البقعة وانزلوا جثمانه في حفرة صغيرة غطوها ببضع خشبات وبعض حفنات من التراب والحجارة .

ووصل الى القبر فتصور ذلك الفتى الطويل القامة ، العريض المنكبين ، المتين الساعد ، الجهوري الصوت ، فاخذته رهبة متمهلة .

وجلس القرفصاء على القبر ، فهزت في مخيلته احاديث بعث الموتى وخروجهم من القبور في الليل .. فاسرع بغرز الوتد على القبر بيده اليسرى ، وتناول حجراً باليد اليمنى ، وهمّ بأن يضرب ضربته الاولى فاوقفه هاجس سريع وتصور « ملحماً » وهو ينتفض ويهب من الكفن ليمسكه ويجذب به الى القبر . واهوى بالحجر على الوتد في عجلة ، فاصاب قبضة يده . ولكنه لم يشعر بالالم ، وتابع الضرب شديداً الى ان غرز الوتد كله في القبر . وعند ذلك انبعث صوت عميق من القبر ، فهب « حميد » مذعوراً يريد اطلاق العنان لساقيه ، ولكنه احس بقبضة قوية تستجمع كعب شرواله وتجذبه الى القبر ، فسقط هلعاً ، لاهثاً ، مرتعداً ..

ثقل رأسه ، وزاغ بصره ، ودارت به الارض ... فتراءى له الاموات وهم يخرجون من رموسهم ، هازجين ، مقهقهين ...

***

وفي منزل « مصطفى الحاج » ، ظل القوم ينتظرون . واستطالوا غيبة « حميد » فقال « مصطفى » : – هات الفانوس يا بنت ، هلموا بنا يا جماعة .. لقد مضى على ذهابه وقت طويل ، والمقبرة قريبة ..

وسار القوم بالفانوس الى ان وصلوا الى قبر « ملحم » فرأوا « حميداً » منبطحاً على الارض . ودهش القوم وارتفعت اصوات تنادي « حميداً » ، فلم يجب . وهرع اليه « مصطفى » يحتضنه ويجس نبضه ثم صاح : – الحكيم ! .. الحكيم !

فانطلق ثلاثة من الشبان يتواثبون مسرعين بين القبور . وحاول « مصطفى » ان يحمل جسم « حميد » بين يديه ، ولكنه ما ان رفعه قليلًا ونهض به حتى سقط مطروحاً عليه . فوضعت « علياء » الفانوس على الارض وصاح « سالم » :

– خلّ عنك يا « ابا علي » ! .. انا احمله يا عم ... واسرع « سالم » و « علياء » يرفعان « مصطفى » ، وهمّ « سالم » بحمل « حميد » فرده « مصطفى » بيده وقد انقبضت ملامحه :

– ان شروال الرجل معلق بالقبر ! ...

وقرّبت « علياء » الفانوس من « حميد » ، وانكب « مصطفى » يتلمس شرواله ، ثم ما لبث ان صاح بصوت متعب :

– انا لله وانا اليه راجعون ! .. ان شرواله معلق بالوتد .. لقد غرز المسكين الوتد في شرواله ...

وامسك « مصطفى » بالوتد محاولاً انتزاعه ، ثم اعانه « سالم » فنزعا الوتد من القبر والشروال . وانبعث صوت عميق من القبر فأجفل الثلاثة ، وأخذ كل منهم ينظر الى الآخرين فاغراً فاه ... وارتجفت اوصالهم ، ورددت ألسنتهم البسملة ، ثم سمع الصوت ثانية ، فتولاهم وجوم صاعق ... وقال « سالم » مستعجلًا :

– لنأخذ « حميداً » الى الحكيم ! .. لقد ثار علينا اهل القبور ..

ودون ان يفكر « مصطفى » وابنته بكلام « سالم » استجابا له لينجوا من الجزع والارتباك ...

واوقفتهم ، فجأة ، جلبة مقبلة ، وتلفتوا فرأوا ضوء فانوس يحيط به جمع من الناس . فصمت الثلاثة ينتظرون .

وما هي الا هنيهة ، حتى وصل « الدكتور شريم » فاسرع الى جس نبض « حميد » ثم هز رأسه يائساً وقال : – العوض بسلامتكم !

ووجم القوم ، في حزن وخشوع ورعب ، ثم انتفضوا لدن انبعث من القبر نداء بعيد القرار .

فالتفت الطبيب الى من حوله يسأل :

– أليس هذا قبر المرحوم « ملحم » ؟ – نعم ! ...

وانبعث النداء مرة اخرى ، فقال الطبيب لمن حوله :

– افتحوا القبر يا ناس ! ...

المدرسة التأثرية في التصوير

الحياة هي الحب – استمار وتأجج وتوليد . الحياة هي النضال
وما الحياة الا الحب المستمر والنضال المستمر

●



عالم التصوير كما في باقي الفنون الجميلة تيساران يتنازعان على الدوام : تيار بطيء مقلد يحب السير على القوانين المعقولة والطرق المدروسة والنظم الموروثة . وتيار حيوي مستمر بالشعور والعواطف دافعه الحياة ورائده التجدد والاتحاد والابتكار ، يسير بنا كتيار الحياة المندفع الى حيث لا نعلم ولا ندري ولكنه يبقى للاجيال التالية مرآة تعكس حياة العصر الذي نشأ فيه وتبقى آثاره قيمة من الوجهة الفنية في كل العصور .

لم تكن الحركة التأثرية من الاحداث المفاجئة في القرن الماضي ولا كانت هي منافية للنواميس الكبرى التي يبنى على اساسها الفن ؛ اعني حب الطبيعة والحياة والاخلاص بالتعبير عنهما ، بل كان نشوء هذه الحركة ونموها وتطورها تطوراً تدريجياً وفقاً لنواميس الحياة امر طبيعي فما كانت هي الا تتمة للنزعات الواقعية التي سلفتها ورد فعل ونضال ضد التيار المقلد البليد الذي عم رواجه في اوائل القرن الماضي . فاننا لنجد لها سوابق في اعمال الفنانين المعاصرين لها مثل كوزو ودلاكروا و كوربية ودوميه . وسوابق ابعد من هؤلاء زماناً ومكاناً مثل تورنر و كونستبل الانكليزيين وغويا الاسباني في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن الماضي ، ولو نظرنا الى ابعد من ذلك في تاريخ الفن لوجدنا لها سوابق في القرن السابع عشر في هولاندا الديموقراطية في رمبراندت وفرانس هالس وررويزدال وهوبما و كذلك في اسبانيا في فلاسكز شيخ المصورين .

لم تكن الحركة التأثرية من الاحداث المفاجئة في القرن الماضي ، وفرنسا من البلاد الاوروبية القديمة العهد في المدنية ، يشهد لها بذلك قصور ملوكها و كاتدرائياتها منذ القرون الوسطى ، وعهدها بالتصوير لم تنقطع حباله منذ تلك العصور – فمن الزجاج

* القيت هذه المحاضرة في الدرس التاسع من سلسلة تاريخ التصوير الزيتي الذي تعطيه اللجنة الفنية في النادي الثقافي العربي في بيروت .

فلم يتقدم احد ليفعل ، واوغل فيهم الهلع والوجوم ، وطفقوا يبسملون مرتعشين ، ويتهامسون :

– انكر ونكير ! . . الملكان يحاسبان « ملحماً » . . .

عند ذلك ، انفلتت علياء ، في غضب وتزق ، وانحنت على القبر تجرف عنه الحجارة مسرعة بيديها كلتيهما ، ثم تناولت الوتد واخذت تحفر القبر يعاونها الطبيب الى ان ظهرت بعض الاخشاب فانتزعتها ولاح الكفن الابيض .

وما ان تثلم القبر ؛ حتى انفجر منه صوت هادر . . . وقرّب الطبيب فانوساً من الرمس ومدت علياء يدها تمسك بيد « ملحم » وتجذبه اليها هاتفة :

– « ملحم » ! . . . قم انت يا سبع !

رياض طه



في المقهى   مانه

الملون على نوافذ الكاتدرائيات الى التصوير المصغر الملون في الكتب الخطية الى التصوير المجرد على اللوحات في عصر النهضة علاقات لا يستهان بها لمن اراد تتبع درس تسلسل التصوير . فاذا جاء عصر النهضة كان يتأثر مصورو شمالي فرنسا من النزعات الواقعية في البلاد الهولندية كما كان يتأثر ابناء الجنوب من النزعات المثالية الايطالية لتماسهم بايطاليا . هكذا بقي التصوير الافرنسي في غضون العصور التي عقبت النهضة يتأثر وينتعش من كل المدارس التي تحيط به هولندية وايطالية ، انكليزية واسبانية (في القرنين السابع عشر والثامن عشر) ، فكأن فرنسا في مركزها المتوسط بين الامم الناهضة ، ولم تكن هي اقلها نهوضاً ، تلفحها تيارات الفكر والشعور من كل الجهات فتزيد نار فكرها وشعورها اضراماً .

فلا يتبادر لذهن احد ان التأثير هذا معناه التقليد ، واعمال الانسان صغيرة كانت ام كبيرة مبنية بعضها من بعض وقد قال كميل موكار في هذا الصدد :

« لا يوجد بادرة فنية منفردة مهما ظهر انها جديدة فهي دائماً مبنية على الازمنة التي سبقتها والفنانون الحقيقيون لا يعطون دروساً في الفن لان الفن لا يلقن بل يتركون في اعمالهم مثالاً يقتدى به فاستحسان اعمالهم لا يعني تقليدهم ولكن معناه الاعتراف لهم بمبادىء الاصالة ومعناه الاتصال بموارد شعورهم الحي كيما يحيا هذا الينبوع الازلي في النفوس ، هذا الينبوع المتفجر من النظر الى مظاهر الحياة نظرة الاخلاص والعطف » .

فكأني بالحركات الفكرية والحسية كنار مشتعلة تزداد اضراماً اذا ما لفحتها نار ثانية وانضمت اليها .

ومن العوامل التي لا يستهان بها في رقي فن القرن الماضي ازدياد التماس بين الغرب والشرق في المستعمرات وما كانت تدر على الامم الغربية من الخيرات المادية والمعنوية فكأن الغرب بقي منذ الازل يتطلع الى الشرق لاستباق النور وكل ما هو روحي وجميل في حياة الانسان ، فهذا التماس في المستعمرات سواء اكان بالمدنيات القديمة من صينية وهندية وفارسية وعربية ومصرية واغريقية الخ ام كان في الشعوب المتأخرة التي لها فنها الساذج الفطري القوي ، كل هذا له تأثيراته الراهنة في فن القرن الماضي . وزد على ذلك ان بعض فناني هذا العصر اتيح لهم في شبابهم واثناء قيامهم بخدماتهم العسكرية في الجزائر او غيرها مشاهدة نور الشرق فبقي في نفوسهم هوس اليه وولع بالوانه الزاهرة .

فاذا ما ذكر القرن التاسع عشر اثار في الذاكرة الفن الافرنسي في اوج نهوضه ووفرة اربابه العباقرة من دافيد وانكرز ودلاكروا ، ودوميه وكوربه وكورو الخ . . . وارباب النزعات التأثرية التي نحن بصددها مما حول قبلة فن التصوير العالمي من مركزها القديم روما الى مركزها الجديد باريس فاصبحت باريس سوق عكاظ يؤمها الفنانون من جميع بلاد العالم كما يرتادها غواة الفن ومحبوه .

وكذلك لم تكن الحركة التأثرية في التصوير منقطعة عن باقي الحركات الفكرية والاجتماعية في العصر الماضي ، عصر الثورات والتحرر ، عصر انفراد الشخصيات ، عصر التقرب من الطبيعة لاستنباط اسرارها واستخدام قواها ، وانك لترى في درسك الافرادي لهؤلاء الفنانين ان بينهم من ساهم في الثورات والتحرر بريشة قلمه ، وان بينهم من توصل بطريقته الشعورية الى اثبات الاكتشافات العلمية المتعلقة بالنور ، كما ان لكل منهم شخصيته المنفردة في نظرته الى الحياة والتعبير عنها بواسطة الفن .

ومما هو جدير بالذكر انه لم تكن هنالك حركة منظمة ذات منهاج خاص تريد تطبيقه بل كان هنالك شخصيات فذة تتطلع الى الحرية والنور والحقيقة شأن الانسان الحي في كل العصور ولا بد لنا في هذه النهضة القصيرة ان نشير باجمال الى ما رمت اليه اهدافها ويمكن حصرها في امرين :—.

اولهما : التخلص من المواضيع الادبية والميتولوجية والكنائسية والاستبدال بها مواضيع حية واقعية عصرية حيوية . وثانيهما : فك قواعد التصوير من قوالبها القديمة واساليبها العقيمة المعقدة والوانها

القاتمة واثوابها البالية التي تمسك بها الاكاديميون والاستبدال بها طرقاً جديدة تنطق مباشرة بما يخامر النفس من الهيجان والحيوية والشعور الذي يستبد بنفس الناظر . واعيد فاقول ان عملهم هذا لم يكن مقصوداً ولا مبنياً على برنامج سابق وانما كان نتيجة تحسس واندفاع طبيعيين ونتيجة حب ونضال . ونتيجة عدوى او احتكاك فكري .. متصل بما سبقه .

فقد كان ارباب هذه الحركة في تماس شخصي مع معاصريهم مثل دلاكروا وانكرز وكورو كما كانوا يجتمعون في بعض المقاهي في سهراتهم يتجاذبون اطراف الحديث فيما بينهم عن تحسساتهم واختباراتهم الجديدة وبعض المبادىء الاولية للاعمال الفنية كاثبات الخطوط او نفيها او عمل الصورة كلها عن الطبيعة او الاعتماد على الذاكرة وانجازها في المحرف او وجوب اتباع طرق الاسبقين من كبار الفنانين الذين بقيت صورهم في المتاحف ثابتة لحسن صنعها وغنى الوانها وقوة تعبيرها الخ ... كما كانوا يجتمعون بكبار الادباء والشعراء امثال زولا وبودلير ، فيتم تبادل الافكار وتذكو نار الايمان وحب العمل والنضال وقد ضمت هذه الكتلة من المصورين مانه ومونه وده كاز ورنوار وبيسارو وسزلي وماري كاسات وبرت موريسو وبازيل وسزان وغوكان وفان غوغ وغيرهم .

ومما زاد في تكوين هذه الحركة انه لم يكن في فرنسا حتى بعد منتصف القرن الماضي غير صالون واحد تعرض فيه الصور وهو الصالون الحكومي الرسمي يدير شؤونه ارباب الاكاديميات الافرنسية يعرضون فيه اعمالهم واعمال الفنانين الذين تتلمذوا على ايديهم سنين طوالاً والذين تنطبق صدورهم على القوالب التي وصلت اليهم وساروا عليها ناسين المبدأ الاساسي للعمل الفني ، اعني الشعور والحيوية . اما هذه الطائفة من الشبيبة المجددين الاحرار فكانت ترفض صورهم مراراً وتكراراً اذا ما قدمت الى الصالون للعرض ، كما كان ارباب الصالون يحاربونهم بالمطبوعات ناسبين اليهم الجنون وهدم مبادىء الجمال ، ناظرين اليهم « كدجالين متعمدين لهدر تراث الامة الفني » بينما ظل هؤلاء الفنانون يعملون زهاء اربعين سنة دون مكافأة ناثرين جهدهم في سبيل التحرر والحقيقة والنور وان حصدوا الفقر والسخرية والتنقص .

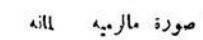
وفي سنة ١٨٦٣ رفض الصالون عرض اعمالهم المرسلة اليه برمتها فامر الامبراطور ان يكون لهؤلاء المجددين الحق على الاقل بعرض صورهم على الجمهور فحشرت في قاعة واحدة دعية صالون المرفوضين « Salon des Refusés » وجاء جمهور المتفرجين هازئين ساخرين فهم لم يعتادوا رؤية شيء من هذا ، فكان يزداد تعاون هؤلاء الفنانين بعضهم الى بعض ، كما كانت عرى الصداقة تشتد بينهم لما كانوا يلاقونه من الاضطهاد وان ظلوا وكل يعمل بمفرده وحسب ما يتراءى له . ولم يسمع بكلمة امبرسيونزم Impressionisme حتى سنة ١٨٧٤ اذ اتفق ان كان بين الصور المعروضة صورة لكلود مونه تدعى « Impression Soleil Levant » فعلق احد الساخرين بهذه الكلمة ولقب الكتلة ساخراً بـ «Impressionaliste» وبقيت فيما بعد امبرسيونيست Impressioniste على لسان الكتبة والنقاد وعامة الناس الساخرين اما هم فثبتوا على اعمالهم غير مبالين بالهزء في هذا اللقب او في سواه .

ولم يفلق القرن التاسع عشر مصراعي بابه حتى انتشر فنهم في جميع اقطار العالم واصطلى بنار ايمانهم جميع فناني العالم فاقتبسوا من نورهم وفتحوا اعينهم للنور والحياة واستعاروا اساليبهم في الاكاديميات في مختلف البلاد فحذا حذوهم الفنان الاصيل وتعلق القشور الخامل البليد وبقي عالم الفن بين تيارين تيار التجديد وتيار التقليد .

ادوار مانه Edward Manet

كان «مانه» قائد هذه الحركة الفنية لما اوتي من ميزات شخصية فكانت توجه اليه شتى التهم من تقليد كبار فناني الاسبان والهولنديين والطليان بينما كان هو يسعى بحسه وعقله ومزاجه للتعبير عن الحياة بقوة وصراحة وبلاغة شأن كبار اسلافه الذين

●





صورة مالرميه لمانه



التمرين الاخير   لده كاز

انهم بتقاليدهم .

لم يعش «مانه» اكثر من احدى وخمسين سنة مرت مرور شهاب ملتهب فكانت حياته كلها حياة جهاد واكتساب وتجدد . كان جهاده الاول في ان يسمح له والده باعتماد التصوير فما كان من والده الا ان ارسله الى اميركا ظناً منه ان ذلك ينسيه او يلهيه عن هذه الرغبة ، فعاد بعد ستة اشهر مجدداً طلبه واخيراً سمح له والده بان يتلمذ على كوتور Couture . فبقي زهاء ست سنوات لم تخلُ من الاصطدام والمناقشات من اول ساعة فبينا كان المعلم فخوراً بمركزه واوسمته كان «مانه» واثقاً من نفسه وقد ظل فاتحاً قلبه للعلم والاقتباس والتجدد طيلة حياته فكان يزور معلمه حتى بعد نهاية دراسته يريه اعماله الجديدة ويطلب انتقاده وان كان في نفسه لا يعير استاذه هذا استحسانه الكلي لاعماله الكلاسيكية الباردة فكانت تزداد المناقشات . ثم سافر وتجول في المانيا وايطاليا واسبانيا مطلعاً في متاحفها على اعمال كبار الفنانين اما ناقلاً اعمالهم مباشرة للوقوف على اسرارهم الصنعية ، او حاذياً حذوهم في لوحاته التي كان يؤلفها .

وكان الصالون الرسمي يرفض اعماله لكن هذا لم يثنه عن مضاعفة جهده ومتابعة نضاله حتى نهاية الحياة بل كانت تزداد همته وقوداً وشخصيته نتوءاً فكأنه كان يأخذ من جواهر القديم امثلة في الفصاحة والبيان حتى اذا انتج صورة جديدة وارسلها للصالون مثالاً للعمل الفني اغاظ اربابه لعدم مطابقتها لنظرياتهم فكانت اعماله تقبل احياناً وترفض في اكثر الاحايين فاذا ما عرضت كانت تثير استهجان واستقباح الجمهور لما كان يصوبه نحوه من الاسهم المسممة ارباب الاكاديميات ومحتلو المراكز في الصالون والكتبة الذين لم يفقهوا من الفن الا ظاهره وقوالبه واذا رفضت ما كانت لتثنيه عن تجديد عزمه ومتابعة نضاله . فقد اكسبه عمله ونضاله استحسان الشاعر الكبير بودلير فاصبح له صديقاً مشجعاً ومواسياً وكذلك الكاتب الكبير اميل زولا والشاعر استفان ملارمه وقد خلد «مانه» ذكر هؤلاء الاصدقاء بتصويره لهم وصورهم هذه موجودة اليوم في متحف اللوفر يهتف بحبها كل هواة الفن الحر .

حبطت مساعيه لعرض صوره في صالون ١٨٦٦ . وكذلك في المعرض العالمي ١٨٦٧ فما كان منه الا ان تبع مثال كوربه فبنى براكن من الخشب جمع فيها نحواً من خمسين لوحة من اعماله ودعا الجمهور لمشاهدتها . وهكذا ظل حتى ١٨٧٠ حاملاً لواء اصول التصوير الحيوي ولواء مذهب الواقعية كمعاصريه دوميه وكوربه ومن سبقهما مثل غويا وفرانس هالس وما انتهت حوادث السبعين الا وبدأ نضالاً جديداً .

اما النضال الجديد الذي كان ينتظره بعد ١٨٧٠ فهو انه استهوته الطريقة الجديدة في التصوير التي شقها كلود مونه وبيسارو بعد عودتهما من لندن ومشاهدتهما لاعمال شورز وكونستبل وبونتكتن والمتعلقة نظرياتها بالوان نور الشمس المعكوسة بالمنشور Prisme واساليب تعبيرها بفصل الالوان المركبة والتمسك بالالوان الاولية التي نستبينها في قوس قزح. فكان نضال « مانه » نضالاً مضاعفاً، اوله : انه تبع رفاقه الاصغر منه سناً وخبرة بأساليب التصوير القديم تبعهم الى الهواء الطلق لدرس الطبيعة من جديد فشق طريقاً في الامبرسيونزم لنفسه. وثانيه: انه حمل عبء النضال عن زملائه لفرض اعمالهم على الجمهور .

وتنحصر اعمال «مانه» في تصوير الشخصيات وتآليف واقعية من حياة العصر تريك الناس في المقاهي والملاهي والسبق والمنتزهات والبيوت الخ . . . وصور العاريات، والمناظر والزهور وغيرها . ومن اصالته في التأليف ضم البقاع النيرة في اللوحة بعضها الى بعض وكذلك البقاع المظلمة مما يزيد في جاذبيتها وفخامتها . وتمتاز ايضاً لوحاته بلذتها الحسية الزخرفية . كما ان صوره تنبض بنبرات عصبية تثب الى الموضوع فتهزه باقل الوسائط الممكنة فتجعله من باب السهل الممتنع .

ده كاز Degas

اما ده كاز فيمتاز فنه باصالة التأليف ومتـانته وقوة الرسم ورشاقته وطلاقته في التعبير من حركات الاجسام واشكالها كما يمتاز بتناسق الوانه القاتمة منها او المزدهرة. هذا من الوجهة الظاهرية الصنعية واما من الوجهة الروحية فهو نظر ثاقب في حيـاة محيطه يكشف لنا مـا وراء زخرفه من الآلام والعيوب نظر ملؤه العطف والاخلاص .

فهذه اجسام العاريات، وهل تتعرى الفتـاة او الامرأة بدون سبب ؟ فهي تستحم فيصورها داخلة الى المغطس او خارجة منه او تتنشف او تدلك جسمها او هي ملقاة تستريح ؟ كلها مواضيع واقعية صورت بغاية من الصدق والاخلاص حتى قيل ان الطبيب ليمكنه ان يقرأ فيها الامراض التي تعتري هذه الاجسام كما انك ترى فيها آثار الالبسة التي تلبسهـا السيدات من مشدات الخصر ورافعات الصدر الخ . فهذه الصور بعيدة عن الجمال السطحي الخيالي لكنها مغموسة بالحياة الواقعة والحقيقة طافحة بجمال التكوين الجديد التكوين الفني الذي هو من ابتكار ده كاز .

استغرب بعض النقاد والمؤرخين هذه الالوان المزدهرة المتناسقة لاستعماله لها في مواضيع هي من مرارة النقد بمكان . ولكننا نرى ان ده كاز في هذا على جانب عظيم من عمق النظر في الحياة او ليست هي الا نوراً وظلالاً، يزداد احتراقها بازدياد تأججها وازدهارها؟ والحياة مغموس حلوها بمرها ونعيمها بشقائها ؟ ان لم يكن صوّر ده كاز غير الواقع فهو يستلفت نظرك بالالوان الزاهية المزدهرة اولاً فيغريك ويستهويك شأن الحياة العصرية المتألقة المزخرفة . فاذا ما اقتربت من اللوحة وزدت امعاناً اخذتك العاطفة والشفقة الانسانية .

واليكم المثل في هاتين الفتاتين المكبتين على عملها في كوي الثياب وقد بدا عليهما الملل والتعب وها قد فتحت احداهما ثغرها متثائبة ومالت برأسها على عضدها الى الوراء تتجدب . بينما الاخرى تضغط على المكوى بقوة عامودية تسري من الاكتـاف الى اليدين التي تخرج من تحتها القمصان البيضـاء الملساء المغموسة بالنشاء ، قمصان سراة الناس واغنيائهم الذين يقضون اوقـاتهم بالمراسح والملاهي يتمتعون بالغانيات والراقصات .

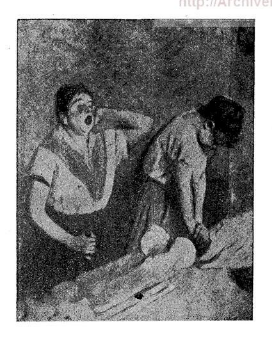
الراقصات والغانيات أتريدون ان تعرفونها ملياً فهـا هو قد صورها لكم بقلب ملؤه الشفقة والحنان عليهن وعليك ايها المتمتع : اجسام اعتراها الهزال واضناها الفقر وانهكها التعب والسهر فهن نحيفات عليلات هزيلات يرقصن على المرسح باثواب شفـافة ملونة بالوان الفراش لكن هذه الفراشات التي تخفق للنور والحركة وللنغم انما هي تحترق وتضوي وتضني . هذه الفراشات انما هي بنات حواء كما شاءتهن المدنية العصرية . فلا ندري اهي لطخة في تاريخ الانسانية ام لطمة لهواة هذه المدنية .

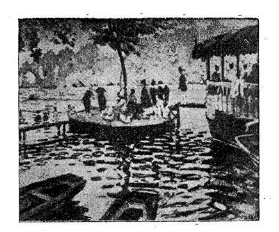
وما كان فن ده كاز ليصل الى ذروة الفصاحة والقوة في التعبير والرشاقة والدقة في الرسم والتناسق في الالوان دفعة واحدة بل كان ذلك نتيجة درس طويل مستمر فكان مشغوفاً بالرسم الدقيق الصادق يحذو حذو انكرز ورافائل كما انه ذهب ابعد من ذلك فكان يدرس الهريتيف . وقالوا ان انتاجه الفني كان ملجماً في البداية لتعلقه بقـائدين عظيمين شغف بهما حباً اعني انكرز الكلاسيكي ودلاكروا الرومانتيقي كما انه شبه وتعلق بانسجامات كورو الفضية . ولكنه ما فتىء ان تغلب على القيود وشق طريقاً خاصة بجدة عقله ووفر شعوره . وقد بلغنا ان حباً منه بتهذيب ذوقه في الالوان ومعرفة اسرار تناسقها وانسجـامها كان يدرس درساً ملياً السجاجيد العجمية القديمة .

كما انه كان من المتأثرين بالمطبوعات اليابانية التي كانت تصل الى اوروبا منذ اوائل القرن الماضي وقد شغف وزملاءه بجمهـا

●

الكاويات لده كاز





الكرونيير لمونيه

●

وببساطة تعبيرها ومواضيعها الواقعية . فكثيراً ما نرى في لوحاته الاشكال المتدرجة بين النور والظل قد اسندت بخطوط تحدد الشكل فتعطيه قوة في التعبير .

مونه Monet

يحيا الفن ويترعرع ما دام اربابه في تماس مع الطبيعة والحياة ولكنه يضعف ويجف كلما تمسك اربابه بطرق التعبير وايقنوا من سهولتها واستعمالها فيتغلب القالب على القلب ويقضي التعبير على الشعور .

لم يحتقر كلود مونه من سلفه من ارباب الفن ولا كان هويزدري بأساليبهم انما كان يتراءى له شيء جديد فكانت له عين ثاقبة تخترق الاشياء « باسهم من الفولاذ » كما قال عنه كلمنسو .

فلاول مرة في تاريخ التصوير نرى فناناً يقف ازاء الطبيعة ومعه سلسلة من اللوحات يجابه الشمس قائلاً في نفسه ها قد فتحت لك قلبي فبوحي لي بكل اسرار نورك .

كان مونه يبدأ عمله قبل شروق الشمس فيتابع مثابراً حتى نهاية النهار . متنقلاً من لوحة الى لوحة ومسجلاً من ساعة الى ساعة كل ما كان يتصور في مشاعره من تحسسات بالنور الذي كانت توحي به اليه تلك الساعة . يعيد العمل في اليوم التالي على اللوحات نفسها والمشهد الطبيعي امامه واحد في شكله وقوامه . يعيد الكرة على اللوحات كلها اياماً متوالية غير مقتنع بالاشياء التقريبية ولا الاجمالية . فكأنما عيناه كانت تنفذان الى الوان النور وتموجاته . فاذا ما تثبت من مشاهداته وتأملاته وايقن ان مجموع شعوره امطر لوحته وابلاً من الالوان فاذا هي تتأجج بالنور وتعج بحركاته فيضطر الناظر حيالها الى اغماض عينيه .

لم يكن مونه ليبني اعماله على نظريات سابقة انما كانت النظريات تبنى على اعماله، هذه الاعمال التي قام بها بقلب مشغوف وعقل حكيم وعين ثاقبة وارادة قوية فكأن مونه بهذه الاعمال المنظمة التي كان يقوم بها يروض عينيه رياضة فعلية فتنمو وتزداد مقدرتها على اختراق اسرار النور في تموجاته والوانه كما كان يروض نفسه رياضة روحية بتماسه المباشر للطبيعة وتفسح امامه مجالات للتأمل بالطبيعة نفسها، مجالات تزداد يوماً عن يوم وساعة عن ساعة . فكانت عينه ترقى وكذلك نفسه . فترك للانسانية اذ ذاك لوحات جديدة ترقى وتسمو بها اذ تفتح امامها مجالات جديدة للتأمل والتفكير والعبادة .

برهن مونه للملأ ان الاجسام الطبيعية كلها مكسوة بجلباب من النور يرقص ويتلألأ وان اللون المركزي للاشياء الذي نظنه ثابتاً انما هو في الواقع غير ثابت بل هو يتغير من ساعة الى ساعة ومن لحظة الى لحظة كما تتغير الوان ظلاله بالنسبة الى الوان النور . وان هذه الاجسام تعكس نور الشمس والوانها في تلك اللحظة على الاجسام المجاورة كما تعكس هذه الاجسام المجاورة على الجسم الاول ما تبقى لها من الاشعة وما وصل اليها من الانعكاسات ، برهن مونه للعالم ان العالم كله في حراك ذري مستديم لا يقف عند حد وانه لا حدود تفصل الاشياء بعضها عن بعض بل العالم كله في انحلال واشتباك ذري منوط بالشمس .

قال كميل موكلر « كان حرياً بعلماء الاسبكتروسكوب ان ان يقدروا اعمال مونه حق قدرها فينتظرون بشغف نتيجة تحسسات هذا الفطري العبقري فيما كان يدونه في لوحاته من الالوان فتاتي مثبتة لنظرياتهم المتعلقة بالوان اشعة الشمس . كذلك كانت نتائج اعماله بغاية الاهمية بالنسبة للنظريات المتعلقة بطبيعة العين وامكانياتها . » •

فان كانت هذه ميزات لوحات مونه من الوجهة العلمية في صدقها واخلاصها للحقيقة والواقع فهي لا تقل اهمية من الوجهة الفنية فاذا ما اقترب منها المرء لا يرى الا دهاناً متراكماً واذا ما ابتعد عنها اخذه الذهول فلا يدرى أهو يحلم بالحقيقة ام هو يسمع سيمفونيات موسيقية ام هو يقرأ قصيدة للمعري قصيدة تنبئنا عن تفكك هذا العالم ورجوعه الى عالم الهيولي .

سزان ورنوار Cezanne, Renoir

اشرت الى التـأثير والاحتكاك الفكري الذي كان يحصل باجتماع هؤلاء الفنانين بعضهم ببعض. فقد كان «مانه» اعظم تأثير في في نفوس رفاقه بنضاله المتواصل وبمـا كان يبث فيهم من روح التخلص من القيود ووجوب التجدد والتصوير بصراحة والتعبير عن التحسسات المباشرة. وكذلك اثر رفاقه فيه فدعوه الى الطبيعة والحقول والهواء الطلق، فكان ازدياد هوسهم بهذا البطل المناضل الذي شعر باصالتهم وانضم اليهم كما انهم كانوا يقدرون شخصيته حق التقدير.

ولم يخل من هـذا التأثير سزان ورنوار اللذان احببت ان اذكرهما معاً في هذا الدرس المختصر فقد بدأا مع الكتلة وبعد ان أخذا مشعـال النور من مونه وبيسارو وسزلي، ونبراس الصراحة والارتجالية من «مانه» عاد كل منهما الى نفسه، سزان يريد ان يعمل من الامبرسيونزم شيئاً متيناً كصور الاقدمين ورنوار ينظر خلسة الى الاسبقين من بوشه وفرا كونار وواتو وانكروزودلا كروا الخ. أفكانت هذه رجعية ؟ . كلا ولكنها تجديد على نطـاق اوسع ومبادىء اعم، واشمل متعلقة بالتراث الفني الانساني والعالم الخارجي من جهة وامنيات النفس وما تتوق اليه من جهة ثانية . فصورهما تمت الى صور ذهنية تكاد تتقمص في بعض الاشكال المثالية المنحدرة الينا من السلف فهي مثالية شخصية ولكنها في غاية المرونة فقد كان يقول رنوار « ابسط المواضيع ازلية » ذلك لما كان يسكب فيها من عندياته .

فصور رنوار تبعث في القلب شيئاً من الفرح والمرح لجمال الوانها المتموجة بين الزمرد والياقوت واللؤلؤ والمرجان واشكالها النضرة المليئة بالحياة الفنية الازلية . فمن نظرة الى عارياته تراها بعيدة كل البعد عن الوساوس والافكار تتمتع بنسيم الطبيعة واريجها كأنها زهرة ازلية منها وفيها .

ولاعمال رنوار من الوجهة الصنعية لتمسكه بالاساليب القديمة اهمية عظمى اثبت باعماله ان خير واسطة للتصوير بالزيت هو الزيت .

اما سزان فكان بين دافع داخلي لخلق الاشكال وتكوين الاحجام وبين حب التثبت من الالوان المتدرجة على سطوح الاجسام . فان كان ينقصه مـا وفر لدى رنوار من سهولة الرسم ومعرفة اساليب الاقدمـين في التلوين فلم ينقصـه شيء من حب الفن والاخلاص في العمل فقد توصل الى اثبات النور الصادق مع غناء الالوان المركزية والانسجامات اللونية اللذيذة . فلم يدرس احد اكثر منه تدرج اللون المركزي وتشبعه من الالوان في مناطق النور كما في مناطق الظلال . وقد قال لاميل برنارد «التصوير هو ان يسجل المرء تحسساته الملونة فليس هنالك خط ولا هنالك تدرج بل هنالك مقابلات . فاذا كان اللون مشبعاً كان الشكل مليئاً » . كما انه في تكوينه للاجسام كان مولعاً بمقابلتها في مخيلته بالاشكال الهندسية كالكرة والمكعب والاسطواني والمخروطي الخ .

وعلى هذه الاقاويل او النظريات النادرة لسزان كنا نرى في عالم التصوير كتلات تتالف وتتلاشى حاملة ألوية مختلفة من بوست امبراسيونزم واكسبرسيونزم وكوبزم وفوتورزم الخ .. من اتم الى اتم .

والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

وما اجدر بنا ان نذكر هذه الكلمة لرنوار «من يتقرب من الطبيعة بنظريات فالطبيعة تطرحها عرض الحائط » .

عمر الانسي

لاعبات البيانو لرنوار



صفاء

الى ذات المقلة والروح السماويتين التي وقف بها الحب على شاطىء نفسي مرتبكة حائرة

☆

سماء قلبي عينٌ منكِ صافية		بريئة اللون لم تسفح ولم ترق
قريرة في شراع الهدب ما اذنت		برحلة للهوى في الدمع والارق
كزورق يحمل الاطفال ضاحكة		في نزهة من صفاء اليم والافق
تهش بين مطاوي الموج راقصة		فيه كما رقص النسرين في الورق

***

فجذفي في حناني غير وانية		على أديمي صفاء شاع في عمقي
خوضي شعوري وهزي كل راكدة		من الحنين وهزي الشوق وانطاقي
على غمار من الوجدان ساخرة		عباب روحي من فجوري الى شفقي
ولا تروعك أشباح مبعثرة		على صفائي، وهل صفوٌ بلا رنق ؟
هذي خيالات آمال محطمة		على شموخي طواها الامس في نزقي
لهفي لها! بل لقلبي من تراكمها		في غوره غرقاً يلوي على غرق
ولا ترعك جراحي ان مررت بها		مطلة من كوى نفسي على طرقي
هذي منائر روحي من شواطئها		قامت تنير لك الادلاج في غسقي
تصب نوري على مسراك ساهرة		على أمانك حتى آخر الرمق
قلبي جزيرة دنياك التي اضطرمت		فيها القلوب وماج الغدر في الحدق
بلغتِ شاطئها الريان فاتكئي		على عفافي، ونامي في ذرا خلقي !!

فارس سعد

من المساء الاخير

لحن جنائزي

بقلم يوسف الشاروني

فجأة تجد نفسك بحيث لا تستطيع الاقتراب التام من الآخر ولا الابتعاد عنه ، ومن هذا الترجح بين محاولة للاقتراب لم تتم ، ومحاولة للابتعاد لن تتم ، ينبثق يأس لانهائي ، يولد لحظة من لحظات التوتر الانساني المجنون . فينبعث لحن جنائزي ، يظل يعلو شيئاً فشيئاً ، كلما أوغل في الظلمة المساء الاخير

●

هكذا علمتنا تجاربنا وهكذا علمنا التاريخ : ان اللحظة العظيمة هي تلك التي فيها يولد إله من انسان . بين الرغبة والتحقق يسقط الواقع، وبين الرغبة والمعرفة يقوم الخلق .

الخلق — كالحب — هو القمة التي تتعانق عندها الحرية المطلقة والضرورة المطلقة .

قد يطلب الاله من عبيده ان يؤمنوا به بعد ما خلقهم ، لكن يجب ان يؤمن بهم هو اولاً حين يخلقهم ، وما اروع آلام الاله الذي يخلق من مادة لا يؤمن بها .

ان الخلق ايجاد من الذات، اولى من ان يكون ايجاداً من العدم .

ان عملية الخلق في جوهرها عملية فصل عن الذات ، لهذا يجب ان نتحمل آلام الامومة ، فان كل مطالبة منا بان نملك ما نخلق لمطالبة أنانية شد ما تكون منبعاً ضخماً لآلام اكثر هولاً .

أحياناً مـا نحب ان نخلق صوراً من انفسنا ، لكن احياناً ما نحب ان نخلق ما هو خير من انفسنا ، وهنا يؤلمنا النجاح ، ونعود الى أنانيتنا التي نسيناها حين كنا نخلق ما لم نستطع ان نكونه ، عندما نرى مخلوقنا قد بدأ يتفوق علينا حقاً .

تلك هي حركة الطبيعة التي لا تخطىء عندما يتم تفوق الجيل الجديد ، يكون الجيل الذي خلقه قد مات .

كل خالق اما يعد نفسه لان يستعبد لما خلقه ، واما ان يظل قادراً على تحطيم مخلوقه فيحتفظ بقوته الخالقة . لكن هذه القدرة الدائمة على تحطيم ما يخلقه هي السبب الاصيل لآلام كل خالق .

لهذا يتألم كل من يمارس فعل الخلق ، من اجل ان يبدع من جديد يجب ان يكون قد ألحد بما خلقه من قبل . كالمخلوق ، من اجل ان يصبح خالقاً ، لا بد ان يكون قد ألحد بمن خلقه .

حين يتحول الخالق الى عاشق ، فمعنى هذا انه منح مخـلوقه وجوداً مستقلاً من اجل ان يعشقه . لكن المخلوق ، الذي ما عاد جزءاً من ذات الخالق لا يبادل الهه الحب كما قد يتبادر الى الذهن ، بل يرى في الثورة عليه اوضح طريقة لاعلان وجوده الذي كان يفنى فيه . وما أهول مصير كل خالق يتحول الى عاشق .

ليس التصوف مجهود الخالق كي يصبح عاشقاً ، بل هو المجهود الذي يبذله المخلوق كي يرتفع من مرتبة العبادة الى مرتبة العشق من خالقه .

لسنـا نخطىء حين نقول ان التلميذ الذي يحاول ان يعشق استاذه ، انما يقوم بمحاولة تصوفية .

قد يظل شخص يقف من الآخر موقف الاستاذية ، حتى حين تصبح العلاقة التي بينهما هي علاقة العداء .

تلك هي التضحية التي يجب ان يقدمها كل خالق ثمنا لابداعه : ان يحب بغير ان يشترط حباً مقابلا . وهذا هو الفرق بين حب الخالق وحب المخلوق للمخلوق ، بين

حب الأم وحب الابن للابن . وهذا هو الدرس الذي وضحته المسيحية للعالم . ان الخالق قد لا يحرم الحب المقابل فحسب ، بل يبلغ الامر الى اهانته وقتله ! .

***

ان بمجرد الوهم بأن الآخر يبادلنا نفس الحب كاف لان يهدر لنا اندفاعنا نحوه ، كالنوتي : قبل ان يصل الى الشاطىء يرمي بمرساته عليه فيتحدد اتجاهه ويزداد اندفاعه . وما اهول المصير اذا لم تكن المرساة قد غرزت في شيء ما .

اننا في حاجة الى ان نحدّق في جراحنا ثم نضغط عليها في جرأة ، سنتألم اكثر اول الامر ، لكننا سنحس اخيراً بلذة ناعمة .

حقاً لكم هو مرير ان يلطمني الانسان الذي احببته ، لكني اعلم ايضاً لكم هو اكثر مرارة ان تظلي تذكرين انك كنت هذا الانسان.

من السهل حقاً، لكن من المؤلم ايضاً، ان تكون واحداً من هؤلاء الذين لا بد من وجودهم كي يضعوا تاج الشوك فوق رأس البطل من اجل ان يتوهج وجهه ، فيضيء الطريق امام الاجيال المقبلة .

احسست ارتياحاً عظيماً ، وكنت اخشى فقداً مروعاً ، عندما تركتك كنت كأنما بترت من جسدي ذراعاً مشوهة ، الانسان الذي احببته فيك الليلة قد مات.

***

عند لحظة الانفصال يموت الحب التافه ، اما الحب العظيم فهو كالطفل : يظل جزءاً من حياة امه، فاذا انفصل عنها بدأ حياته هو.

حين يصدمنا آخر في اعمق عواطفنا ، كثيراً ما نحس النبل والقداسة حين نزيه اننا لا نزال نمعن في حبه، واخشى ان تكون تلك طريقة للانتقام بها نشعره اننا خير منه. ام ترانا نزيد بهذا ان نحمله على حبنا لمجرد انقاذنا؟ اننا نكون اكثر اخلاصاً للقداسة وللاحترام افعالنا لو اننا احلنا عواطفنا التي آلمتها الصدمة الى شعور سماوي في انفسنا ، مدركين ان الانفعال المخلص ناجح دائماً ؛ لانه وحده الانفعال المكتفي بذاته .

ما اكثر حوادث حياتنا التي نلتقي بها ونفترق عنها بغير اكتراث ، لكن ثمة تجارب كنا قد اخلصنا لها ، فظللنا ننتظر وقوعها ، وهزتنا الفرصة يوم حدوثها، اذا بدا ضباب الخريف يحجبها عنا اختلجت نفوسنا بالجزع . لهذا يتألم كل من اخلص لنفسه او لآخر او لرسالة في الحياة .

اننا بالاخلاص نحيا ونتمتع ونتألم .

ليس من الصواب ولا تلك هي مهمتنا، ان نلعن اخلاصنا او عدم اخلاص الآخرين ، يكفي ان نتحمل آلامها .

كثيراً ما ننسى .فهمنا اخلاص الآخرين، حين نحسب الاخلاص علاقة بين انسان وآخر، بينما هو — كالفشل — لا يعدو ان يكون علاقة بين الانسان ونفسه .

***

تلك هي الانانية المقرونة بضعفنا العاطفي : نتمنى الانسان الذي نحبه ألا يشغل الا بنا في فرحه او حتى في اضطرابه، طالما كان اضطرابه هذا معناه تعلقه بنا .

قد يكون من حقنا أن نقبل أو نرفض الآخرين من حياتنا ، لكننا ننسى . فهم هذه الحقوق حين نحسبها تمتد بحيث تشمل مسألة عقابهم او الغفران لهم . ففي الواقع — طالما نحن من غير الالهة — فاننا لن نرضي بهذا الا انفسنا ، اما فيما يتعلق بالآخرين فان توهمنا عقابهم لا يزيدهم الا كرهاً لنا، اما مسألة الغفران فهي من حقهم وحدهم لان صاحب الحكم هو صاحب الغفران ، والذات — كما نعرف جيداً فيما يتعلق بنا وكما نتوهم العكس فيما يتعلق بالآخرين — هي وحدها صاحبة الحق في ان تحكم على نفسها بالخطأ او الصواب .

كثيراً ما يكون طلب السعادة للانسان الذي فشلنا في الحصول عليه نوعاً من الاستسلام ، حيث هو سعيد مع غيرنا ونشقي أنفسنا اذا نحن تألمنا لسعادته التي كنا نتوهمها غير منفصلة عنا . أما اذا ترامى الينا نبأ تألمه فان غبطتنا هنا ستكون أكثر اخلاصاً ، حيث نرى في ذلك العقاب الطبيعي لانفصاله عنا . انها سعادة المنتقم ، فنحن الناس نجد لذة في الانتقام لا تعدلها لذة التضحية ولا لذة القداسة ولا لذة تألمنا لتألمه . لذة الانتقام لذة قاسية قد نضحي في سبيلها بكل شيء . حتى سعادة من نحبهم .

الناس يسمون حين يحبون، وينحطون حين يكرهون ، وكل من حاول ان يحمل الكره يسمو به يعرف قسوة هذه المحاولة .

ما أخطرنا عندما نزمع أن نبدد أحزاننا .

في كل مراحل التاريخ علمتنا دروس الانتقام العبقري أنه لا يتجه نحو قتل الغير بل نحو إحياء الذات وإفنائها حيث تظل المسافة هنا أيضاً هي المسافة بين الحي والميت.

ليس الكره نقيض الحب ، بل هو — كالحب — درجة من درجات الاهتمام بالآخر . ان عدم الاكتراث هو نقيض الحب ونقيض الكره بحق .

أحياناً ما نكون في حاجة الى ان نتعلم كيف نحب نفوسنا .

القاهرة — يوسف الشاروني

كل الذنب على اليقطينة

للويدجي بيرندلو ترجمها عن الايطالية : مصطفى آل عيال

☆

في قرية «مودجو» الايطالية من مقاطعة «الفلسسنيه» كان يقطن شيخان فلاحان تربطهما قرابة بعيدة وصداقة قديمة : بطرس الطحان وبولس الزيات.

كانا يتمنيان ان يدفنا في مقبرة واحدة . فالطحان شيخ طاعن في السن ابيض كالثلج لا لنظافة ثيابه او لون بشرته بل لتراكم الدقيق عليه منذ امد جد بعيد . والزيات اسود كالزفت وليس الذنب ذنبه بل هو ذنب مهنته القذرة . ولبطرس حمار لم تعرف « مودجو » كلها حيواناً اضخم منه ، يستعمله في الذهاب والاياب من البيت الى المطحنة ويحمله اكياس القمح وغيرها بدون شفقة رغم وزنها المرهق . اما اهالي القرية فلم يكن احد منهم يملك دابة يعتمدها في اشغاله واوقاره الثقيلة وكثيرون منهم يحملون على اكتافهم وظهورهم كل ما يحتاجون اليه ، ولكن بولس كان اوفر حظاً منهم جميعاً . فانه لم يكن في حوزته حمار او بغل او حصان بل عربة بدولابين مغطاة بخيمة جديدة ورثها عن اخيه الذي عاجلته المنية وهو في شرخ الشباب . يفتخر بها ويشكر للعناية الربانية التي خصته بمثل هذه الهدية الثمينة . وكم كان يحسده صديقه الطحان عليها ويتمنى لو تكون لحماره . . ولكن . . . كان يقول : — واحسرتاه لن استطيع ابداً ان ابتاع مثلها وكيف يتسنى لي ذلك والدراهم لا تعرف لكيسي طريقاً . .

وتمر مثل هذه الخواطر في رأس الزيات فيجاهر متشدقاً على الدوام بهذه العبارات : — ان حمار صديقي لا يصلح الا لعجلتي فكم اكون سعيداً لو رزقني الله مثله . ولكن اين الدراهم . هل تعرف سبيلاً لبابي . . أُف لها . . فأنا خلقت لاكون هذا الحمار والحمد لله على نعمته هذه . — وكان يكدن نفسه الى عربته مرة كل اسبوع ناقلاً عليها بعض الاسباب التي يحتاجها لمعصرته .

وشاءت الاقدار ان يتفق الشيخان على زفاف الحمار الى العجلة، ودون القارىء الكريم صوره الاتفاق : « في يوم الاثنين من كل اسبوع يستعملها الفريق الاول في جميع مرافقه وللفريق الثاني حق التصرف بهما كذلك يوم الخميس » . بارك الله بمن نفع واستنفع . وداما على هذه الحال مدة طويلة متحابين فرحين بما توصلا اليه من حكمة وفطنة في رواج تجارتهما مع تخفيف المشقة عن عاتقيهما فاصبحا سيدي القرية اقتصادياً وعمرانياً وسياسياً . وعرفت امرأتاهما بذلك التضامن فجثوتا وصلّتا الى الله الكي يتم نعمته عليهم جميعاً .

وذات يوم بينا كان الزيات يتمشى في مبقلته واضعاً يديه وراء ظهره تحت ذيل ردائه القذر متفقداً الزرع هاشاً باشاً لكل زهرة يراها ، وقف بغتة واعتراه شبه ذهول حينما وقع نظره على يقطينة ضخمة تترعرع في ارضه بدون اذنه، فاستشاط غضباً وتمتم كلمات يفهمها هو وحده ثم همهم وتوعد ثم تفل اولاً وثانياً واستل من وسطه سكيناً غطاها الصدأ وهجم على اليقطينة فجزها من عنقها ورفعها بذراعيه واخذ يقلبها ويتفحصها معجباً بصحتها الجيدة .



وما عتم ان هاجمت رأسه الهواجس واسودت الدنيا في عينيه عندما احس بدمها الابيض الناصع يسيل على يديه. فاعترته قشعريرة نفذت الى اعماق صدره. فخاطب نفسه بهذه الكلمات : — ماذا

جنت لي من الاثم هذه الصبية حتى جازيتها بهذا الشكل الفظيع . وما ذنبها اذا كانت والدتها ربيبة بستان جاري بل صديقي الحميم بطرس .

والحقيقة لم يكن بولس يضمر حقداً او خبثاً ولكنه اراد فقط ان يعاقب تلك اليقطينة على جرأتها بانسلالها من بستان جاره الى بستانه بدون اجازة رسمية او اتفاق سابق مع صاحبها . ولكي لا ينتقل مرض هذا العدوان بين سكان القرية خاصة والاشجار والنباتات عموماً . ثم تأبطها بعد ان هدأ روعه وخرج بها في الازقة . وما ان سار بضع خطوات حتى التقى وجهاً لوجه بصديقه بطرس الذي عرف في الحال ان اليقطينة له فوقف مشدوهاً لينظر بعينين جامدتين الى صديقه المجرم والى الضحية . وبعد ان تأملها طويلاً وهز رأسه كثيراً قال له :

ان فعلتك هذه تدنس صداقتنا القديمة المتينة وقد اسأت المحاكمة . نعم ان اليقطينة اقتحمت مبقلتك بدون مشورتك ومشورتي ايضاً ولكن كان الاحرى بك ان تنبهني الى ذلك قبل ان ترتكب هذه الوحشية . فحكمك بالازهاق عليها مناقض للشرع ثم انها لم تبلغ بعد السن الذي يقتضيه القانون للمثول امامه و.... و.. — وكاد بطرس لا ينتهي من محاضرته هذه مكرراً الكلام ذاته اكثر من مرة وقد احمرت عيناه وطفا الزبد على اطراف فمه ، لم يقاطعه بولس بغلاظة لانه كان يعتقد بنفسه حسن السلوك وانه المعتدى عليه :

— على كل الاحوال اذا لم يكن لليقطينات ادراك الواجب بلزوم مكانها وسقط رأسها كان يجب على اصحابها ان يدركوا ذلك . ثم دار كعبيه الغليظتين نصف دورة ورجع ادراجه الى منزله وعلق اليقطينة فوق الموقد لتجفيفها .

لم يقف الخطب عند هذا الحد . فتلك اليقطينة غرست الشقاق في قلوب الجميع فلم تعد تعرف « مودجو » وسكانها طعماً للراحة والسلام كعهدها بها في الامس عندما كانت تؤلف كتلة واحدة مشدودة بشعور واحد . لقد انقسمت الى حزبين : الاول من انصار اليقطينة والثاني من اعدائها وكلا الحزبين يترقب الفرصة للايقاع بخصمه وكان مرد ذلك التحزب الى ان الطحان والزيات كانا معدودين اكبر اغنياء الضيعة فهما اذاً صاحبا القيل والقال فمن الطبيعي ان يكون لهما انصار ومعارضون . وساعد على اتساع الخرق كون امرأتيهما من اكثر النسوة ذماً وقدحاً وثرثرة ونميمة وثلباً .

كان اولاد الطحان يرمون بالحجارة والقباقيب العتيقة وما شاكل ذلك في مبقلة جارهم بولس مبررين عملهم هذا بأنهم يلقونها في ارضهم .. والزيات بدوره كان يقطع جميع الاغصان الداخلة حدوده من بستانهم متعللاً بأنه يقطعها داخل ارضه وملكه . وقس على هذه المشاحنات الصبيانية وربما ، وانا اجهل ذلك ، انهما تماسكا وتضاربا في بعض الاحيان .. وما زالا في حربهما هذه حتى قادت غرائب الصدف احد المحامين التائهين لان يمر بتلك القرية : وسرعان ما اسلمه زقاق الى آخر فطرق مسمعه ذاك الحادث الجديد الفريد في نوعه في « مودجو » .

استوضح الناس عن الامر واستفسر عن الاسباب وبمهارة شيطانية ككل ابناء مهنته توصل الى ان يطبخ حساء ممزوجاً من كل ما تشتهي الاعين دون البطون من مواد ذاك الحادث . وبظرف اسبوع كان يتمشى في اروقة الضيعة متأبطاً رزمة لا بأس بها من الاوراق المحشوة بجميع انواع التلفيقات والخزعبلات عن ذاك الحادث التافه في حد ذاته ، زاعماً انه سيرفعها امام محكمة « لكو » اقرب قضاء لهذه الجهات . وامر الفلاحين بالحضور الى مكتبه في تلك البلدة مهدداً اياهما بعقوبة صارمة حسب ما يقتضيه القانون اذا تخلفا عن الحضور (والقانون في تلك البلاد يجيز فرض ضريبة عليهما . واذا رفضا يحبسان ويباع ملكهما من عقار وغيره بالمزاد العلني) والفلاح عادة في كل القرى يرتجف رعباً من اسم القانون فقط .

لقد انقطعت العلاقات بين الفلاحين ايما انقطاع . فبطرس احتفظ بحماره وبولس بعربته . والاول كان يتمنى ان يكسر ويحرق ما للثاني وهذا يتوق ان يخنق ويقتل ما لرفيقه . وعندما كان بطرس يمر بحماره امام المعصرة كان يقف ليشعل لفافته . ثم يمضي متلفتاً من حين الى آخر وراءه . وجاراه بولس في مثل هذا فكان اثناء مروره بقرب الطاحونة يقف ويدخن لفافة بهدوء ثم يتابع سيره ساخراً من بطرس واشياعه . واتفق له يوماً انه كان يجر عربته ناقلاً عليها ثلاثة اكياس من الزيتون فلم يقف ليستريح عندما مر امام الطاحونة كأنه يريد ان يقول لاصحابها ، وفعلاً كان يقصد ذلك ، بأنه يمكنه الاستغناء عن الحمار بقوة ساعديه وصدره الرحب . على الرغم من انه كان يلهث كالصوص والعرق يتصبب من جسمه الى الارض .

ها قد حان اليوم المضروب لمحاكمتهما . ولكن انى لهما الذهاب الى « لكو » وهي تبعد مقدار نهار كامل ذهاباً واياباً وهما في العقد السابع من سنيهما والصيف في ابان شبابه . لا ، لا ... يمكن ابداً ان يتحملا مشاق الطريق التي ربما تودي بحياتيهما . اجل لقد سار مراراً عديدة الى « لكو » ولكن عندما كانت المياه جارية في

بجاريها . كانا يجلسان تحت خيمة العجلة يجرها الحمار فرحين باتفاقهما السعيد رافعين قهقهاتهما مترنمين بملء شدقيهما بالطقاطيق البلدية ، اما اليوم واأسفاه . لقد غاضت المياه وصمت القلوب وتحجر الشعور رغماً عن تدخل الكثيرين في الصلح . فهـا هو يوم الموعد للفصل بينهما . ولكن باية وسيلة يذهبان الى « لكو » . فالتقليـات والسيارات معدومة عندهما ولوفرض ووجدت فاصحابها اما اعداء لهذا او لذاك فلا يمكنهم حمل الاثنين معاً . ومن الغريب المدهش ان في هذا اليوم المشؤوم تغير وجه السماء واكفهر وهطلت الامطار بغزارة فطفحت السواقي وجرت السيول في كل مكان وظن بطرس انه هو الرابح في هذه الصفقة فامتطى حماره وسار قاصداً «لكو» . ولم يخط اكثر من اربع خطوات حتى جفل الحمار وعوضاً عن ان يتقدم اخذ يتراجع محركاً رأسه يميناً وشمالاً فهزيم الرعد ولمعان البرق وهطول الامطار جعلت الحمار يحرن ويرتد منكفئاً ونكص بطرس الى البيت صاخباً لاعناً الحامي والجاسة واليقطينة وصديقه ، عفواً ، عدوه الالد بولس الاصغر .

اما بولس فلم يكن اشجع من رفيقه او بالاحرى من خصمه ولم يجسر حتى على وضع انفه خارج الباب . ولكن كلمة القانون كانت بين شفاه الاثنين ، في رأسيهما توسوس لهما بكل شر وريب هل يكون الذنب عليهما اذا تخلفا والقدر والطبيعة يعاكسانهما . تباً للشيطان الرجيم .

وفي هذه الاثناء بينا كانت امرأة الطحـان واقفة على عتبة بابها اذ بامرأة الزيات وعلى رأسها مظلة تفتخر بانها ورثتها عن امها وهذه عن جدتها ، تتقدم نحوها وتقف امامها وقفة المهاجم قائلة لها بغلاظة : — جئت لا لاقول لك عمي صباحاً . . بل . . فقاطعتها امرأة بطرس : — وانا لا اريد ان اتصبح بوجهك المشؤوم . .

— جئت لاقول لك بانها ، اي السماء ، تمطر ، وستظل هكذا طوال النهار . — نبأني بذلك البارحة هر لي بيناكان يتفل على يده ليغسل وجهه .

— جئت لاقول لك بان ضميرك لا يسمح لك بان تتركي بطرس يقتحم هذه الاخطار وحده وقد تراكمت السنون على ظهره . .

— وأنا أسألك كيف تسمحين لزوجك بان يحرق انفاسه تحت عربته وهو يجرها كالـ . . .

— الا تظنين بأن الاقدار تكون قد خدمتك اذا تمكن بطرس من الذهاب الى « لكو » دون ان يتبلل . .

— تعني باننا محتاجان الى عجلتك . . اف . . مثلها واكثر واحسن منها تحت امرنا ورهن اشارتنا . .

— اجل يوجد كثير مثلها ولكن اصحابها لا يجازفون بانفسهم في مثل هذا اليوم كما وان واحدة منهـا لا تحمل خيمة جديدة كخيمتها الشبيهة بقنطرة عامرة . .

لقد سمع الطحان كل هذه المحاورة فصرخ بملء فيه :

— ليكن هذا الامر وليكدن الحمار كالعادة . ثم خطـا صوب امرأة الزيات وادنى وجهه من وجهها وقال لها :

ليحرقني الله بصاعقة اذا كنت اقصد باذعـاني هذا ان اقدم لك ولزوجك خدمة او معروفاً . . لامثالكم من البشر الدنيئة . انتم الزياتون القذرون . —.

— حماركم كان طالع نحس علينا : . كأصحابه . . .

فاهت بعبارتها الاخيرة بسرعة ورجعت ادراجها لتخبر زوجها عن الاتفاق الذي احرزته بفضل مهارتها وفطنتها . و . . و . .

وبعد برهة من الزمن حضر كل من الطحـان والزيات الى الساحة العامة التي امام الكنيسة . الاول يقود حماره والثاني يجر عربته ، والجمهور كان ينظر اليهما بافواه فاغرة وعيون محملقة وكيف لا وهذا الحادث فريد في نوعه في تاريخ « مودجو » القديم والحديث حمار يجر خصمين الى المحكمة يا للعجب العجاب .

لقد كدنا الحمـار الى العجلة ونظر كل منهما الى صاحبه شزراً كالكلاب او الهررة امام قطعة من اللحم . ثم صعد الزيات متمتماً بين شفتيه : — ادخل في بيتي وملكي .

— وانا اجرك وبيتك امام القاضي ، اجابه الطحـان ضارباً الحمار بعصا قصيرة كانت في يده وطفقا يدمدمـان ويهمهان تارة ويشخران ويكشران عن انيابهما اخرى .

— اولاً اعترف بانه ليس لك علي شيء ، قال بولس .

— اتفقنا وباستطاعتنا ان نهشم يقطينتي ويقطينتك (واشار الى رأسيهما) — اجابه بطرس .

— وانا آكل لك يقطينتك . .

— سأقيئك اياها امام العدل . .

— جميلة خيمة كهذه عندما يكون المطر غزيراً في الخارج .

— واجمل منها حمار يجرك وانت جالس في عقر دارك . . . ده . يا بولسي الصغير . . .

— ماذا . . ماذا اسمع . . اتدعوه بولس . . يالله . . ! وحرق اسنانه باستياء شديد ونسي ما جال برأسه من لواذع الكلم اجابة على هذه الاهانة التي الحقها به بطرس .

واستمرا على هذا الهرير اكثر من ستة او سبعة اميال. مولولين صارخين متهماً الواحد الآخر بالاعتداء اولاً على رفيقه دون ان يحرك فيه عهد الصداقة القديمة اقل شعور طيب نحو الآخر. كل الذنب على اليقطينة.

لقد اشتد غضب السماء وخيل انها تميل لتطبق على الارض وكأن الحمار شعر بهذا التهديد فراح دون مشاورة سيده يجد بالسير ملتجئاً الى اقرب مكان يبلغه. وها هو امام الخمارة العتيقة التي اعتاد سيداه ارتيادها كلما مرا بطريقهما الى «لكو» فأخذ يمينه ودخل تحت القنطرة المتردمة في اكثر من جهة.

لقد عرف الخمار الطحان والزيات فاستبشر برؤيتهما واراد ان يحضر لهما كالعادة زجاجة النبيذ وورق اللعب.

— اليوم اشرب من كيسي الخاص. هات لي نصف لتر على حدة. —

صرخ الطحان وهو يتهالك عن اول كرسي عثر به.

— ونصفاً آخر لي. — صاح الزيات رافعاً صوته فوق صوت صاحبه.

— اقدم نبيذي الى جميع الاصدقاء الاوفياء. — قال بطرس.

— وانا لا اقبله من كل فرطوسة عوجاء. —

سمع الخمار هذه النجوى وظنها ضرباً من المداعبة والخدع ولم يدر بأن القيامة قائمة بين الاثنين فلم يتقيد باوامرهما بل احضر لهما الزجاجة والورق. قال الطحان لرفيقه:

— لا اريد ان يعرف احد ما هو بيننا من الخصام واقول لك بانه يمكننا ان نلعب متراهنين على الزجاجة دون ان ننسى الى العداوة التي بيننا. وليكن معلومك بانني اتمنى ان اراك غريقاً، دونك الورق.

— لقد لعب اليهود ايضاً تحت صليب سيدنا المسيح. ولذتي الوحيدة في هذا اللعب هي ان اراك تخسر آخر فلس في جيبك..

ابتدأا باللعب متحمسين وامرا للحمار بقليل من العلف. ومع الاوراق المتساقطة على الطاولة كان يسمع اللطم بالايدي والشتائم الوفيرة: — خذ ايها الكلب الجرب.. —.

— خذ ايها اللص الوقح...

— ها ها.. سأشرب النبيذ على كيسك ورغم معطسك.

— سترى من يشربه منا على كيس الآخر ايها الشحيح..

وما زالا على هذا الشطط والصراخ الذي يشبه النباح والطبيعة لا تزداد الا عنة وطغياناً في الخارج حتى خسر الزيات الزجاجة فأمر بثانية. لقد استمرأ الشيخان طعم الخمر في مثل هذا اليوم الغريب ولم يعدبوسعهما الافلات مما وقعا به. فبولس خسر كثيراً وشأن كل خاسر اياً كان وفي اية صفقة ان يأمل بالربح وان الحظ لا بد وان يواتيه اما في البداية او في النهاية. اما بطرس فكان يريد ان يبرهن عن مقدرته على تجرع كل النبيذ الذي في الحانة دون ان يعتريه ادنى سكر، وانا اقول للاثنين معاً اذا داما هكذا بوسعهما ان يقولا للمحامي: «بخاطرك يا سيدنا البك». ولم يشعرا بانهما شربا الزجاجة الثانية وطلبا ثالثة. وانى لهما ذلك وفي الخمر لذة السلوان للعاشق المتيم والتعزية للجاهل عن بلهه وحمقه والقوة للجبان الفسل والفرح الشديد للشيخ الذي سرعان ما يحس في عروقه بسريان دم الشبيبة الموهوم من النشوة. وكان الطحان يلطم بكلتي يديه على الطاولة صارخاً بصوت اجش يشبه صوت حماره:

— خذ ايها الكلب.. خذ ايها الجرذ.. خذ..

اما الزيات فكان يشعر بالضحك يجتاح كل جوارحه وقد انحدرت قبعته الى مؤخرة رأسه. وانتبه الاثنان فجأة، بعد ان استلقيا من الضحك، الى شعاع الشمس المائلة الى المغيب يدخل من خلال كوة السقف. فذهلا كأنما هي ضربة قاسية وقعت على ام رأسيهما ونظر احدهما في وجه الآخر بعيون ممحاء من كل خبث ترفرف خوفاً وفزعاً. لقد مر ببلهما شيء اشبه بوميض البرق فذكرهما بالحمار والمحامي والجلسة. فهبا من سباتهما العميق وتحاملا على نفسيهما وبعد جهد جهيد تمكنا من الوقوف على ارجلهما فتماسكا باطراف الطاولات والكراسي وتوجها نحو الباب متلاحيين.

— يا لك من خائن الوطن وعهد الصداقة..

— يا لك من رجل فسل وغد.

وما زالا هكذا وارجلهما تصطك من تحتهما حتى اقتربا من العربة فصعدا اليها زاحفين وودعا الحانة وصاحبها برفع القبعة ورميها في الفضاء.

— اسمع ايها الحمار. اذا اصبحت الدنيا كلها يقطينة ما الذها وما اشهاها. قال الزيات صارخاً.

— صه ايها المجرم الاثيم فالعدل ينتظرك في «لكو» —.

تحرك الحمار بهما وسار متوجهاً دون ان يعلما الى اين كان يمشي خبباً لفرحه بالشمس وخيوطها التي كانت تداعبه. وبدأ الطحان يغني بصوته الاجش ويا له من صوت. اما الزيات فكان اعقل من جاره. لقد طرق باب فلسفة لم يسبقه اليها افلطون ولا ارسطو. وشبه الحياة بدولاب يدور ويدور ويدور..

غاية الكون

سألتني أترى للكون قصد في الحياة ؟
ولماذا يهمس الفجر بصوت من سناه ؟
ولماذا يسبح النجم ويسري في دجاه ؟
ولماذا يحلم الزهر برؤيا في شذاه
ولماذا وسوس الليل نجاوى في الصلاه
ودعاء الليل نسم ذاهل تاهت خطاه
انه ذكرى تنادي عالما في الغيب تاه
فأجبني يا حبيبي انني حيرى الوجيب
لا ارى لي من دروب وسط هاتيك الفلاه
قلت إن السر في قلب الورى لا في حجاه
والهوى للروح ادراك لما يخفي الاله
انما الكون شتات يبتغي فينا لقاه
يلتقي فينا اذا ضم الفتى صدر الفتاه
وهو في القبلة موصول سماه بثراه
نحن ألفاظ فُرادى ما لها نسج سواه
كي يتم الشعر للدنيا وندري ما لغاه
ما لنا والفلسفات
باداليني القبلات
انها خير الرواة
عن مجاهيل الحياة

القاهرة — محمد الجبار

وأثناء الطريق احدثت لحمر معجزة ما كانا ليتوقعاها ، احس كلاهما بالشعور الطيب ينمو فيه ليناضل العداوة التي تأصلت بينهما ولكن الكبرياء وحب الذات وعدم الصراحة جعلتهما يخفيان هذا الشعور السامي ، تبا للانسان الخاضع لهذه العوامل الدنيئة .

كانا صديقين حميمين وها هما اليوم خصمان لدودان على وشك الوقوع بين ايدي الدجالين واللصوص الرسميين يقودونهما كاصين مجرمين امام المحاكم والحكام .

« كلا لن يتم هذا الامر » . ردد الشيخان معاً هذه الجملة بصوت خفي ولمع في اعينهما وميض الحقيقة الراهنة فطفحت مآقيهما بالدموع وانقطع الطحان عن اهازيجه والزيات عن فلسفته . وعلى حين غرة لاحت لهما اوائل بعض المنازل فشعرا بانقباض شديد وخيل لهما كأنهما غاصا في حوض من الاحلام والاحزان المزعجة ، فنكسا رأسيهما وخفتت انفاسهما قليلا . ولم ينتبها الا عندما وقف الحمار فجأة . فأدركا دنو الحكم النافذ في احدهما وتقلصت شفاههما وارتجفت ارجلهما واختلج صدراهما ولم يجسرا على النزول من العجلة فتمسكا باطرافها وتواقفت الحاظهما ثم لاحت منهما التفاتة الى المكان الذي وقفا فيه ورجعا الى التنفس الواحد في وجه الآخر .

يا للعجب العجاب والقدرة الالهية .

— أفي المنام نحن ام في اليقظة . سأل بولس رفيقه .

— بربك قل لي أليست هذه كنيستنا وهذا الحداد الذي يجارنا وتلك هي معصرتك . ألا تشم رائحة البصل المشوي المتصاعدة من بيتي . . .

هذه هي « ودجو » عينها . لقد رجعا الى الساحة التي تركاها في الصباح تعج بالنساء والرجال والاولاد والدجاج والبط والكلاب . تلك الكلاب التي ما كادت تراهما الآن حتى بدأت تبصبص باذنابها مسرورة بقدوم زعيمي القرية . لقد اثرت فيهما هذه المفاجأة فجعلا يضحكان تارة ويسكتان اخرى . والسبب في رجوعهما الى « ودجو » بسيط جداً . ان الحمار عندما ترك الحانة ظن كالعادة بأن صاحبيه يرومان العودة الى قريتهما فبدلا من ان يتابع سيره الى « لكو » انثنى راجعاً على الطريق التي اتى منها بدون ان يسترب الشيخان بالامر .

والآن ما عليهما الا ان يرتمي الواحد في حضن الآخر . وهكذا فعلا وطلبا الاقالة مما جنيا من الاثم نحو بعضهما وتصافحا وتعاهدا من جديد شاكرين الحكمة الربانية التي ادركتهما في اللحظة الاخيرة وشكرا للحمار فطنته لتخليصه اياهما من براثن القانون والمحامي الذي ما عتم ان حضر في اليوم الثاني الى « ودجو » وبدأ يتهددهما ويتوعدهما على تخلفهما . فطيبا خاطره بهدية ذات قيمة : خذوصاً سميناً وزجاجة من الزيت الحلو الصافي كعين الديك واقسما بان لا يعودا الى تعكير صفو صداقتهما مهما بلغ التعدي من اليقطينات على حدود الآخر فانه من الصعب جداً ان يصادفا حماراً آخر من هذا القبيل .

مصطفى آل عيال

اوتــاد الحكمة الاربعــة

مهداة الى روح صديقي الشاعر نسيب عريضة

بقلم راجي ظاهر

☆

كان لنا فيا مضى في مهجر اماريكا الشمالية نهضة ادبية زاهرة باهرة . ففرح انطون وجبران خليل جبران وامين الريحاني وابرهيم متري الرحباني وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وغيرهم من اعلام تلك النهضة المباركة تألقوا في سمائه تألق النيرات الساطعات وملأوه، لحظات قصاراً، نيراناً ونوراً.

ثم عصفت بهم رياح الزمن فحملت بعضهم الى ما وراء عالم الحواس . . . الى دار النعيم المقيم . فزالوا من ارضنا الفانية جسماً ولكنهم بقوا في مخيلاتنا ذكريات معطرة بالفل والياسمين . وبقي بعضهم « يحرك » في ارضنا ويتحفنا حيناً بعد آخر باغان ساحرة تذكرنا باغاني الكراكيّ الاحتضارية .

اما البعض الآخر فبقي حياً – ميتاً . اذ انه قد اكتفى بالعيش بماضيه كأنما حسبه مجداً ما قد نال فيه .

وكانت نهضة ناصعة الجبين

وكانت منذ عقود من السنين

تلك ايام من حياتنا المهجرية تحتاج الى دراسة واسعة منصفة تمكننا من فهم اسباب النهضة التي قامت فيها فهماً صحيحاً . على اننا اذا جئنا الآن نلقي عليها نظرة اعتبار اجمالية ترانا لا نتجاوز حد الانصاف اذا وصفناها بانها كانت نهضة ادبية وحسب . لا سياسية ولا اجتماعية – اقتصادية . ومن اجل ذلك ففائدتها تنحصر تقريباً في الاساليب الانشائية البديعة التي استنبطت فيها واطلقت لكثير من الكتاب في العالم العربي حرية التعبير عن افكارهم باسلوب جديد بعيد عن التقليد والتعقيد . اما فائدتها من حيث وضع اتجاه جديد ان في السياسة او في الاقتصاد او في الاجتماع، فانها – اذا استثنينا فرح انطون في الاجتماع وجبران والريحــاني في حملاتها الارتدادية على الرجعيين – محدودة، ومحدودة جداً .

ولكننا ونحن نتفوه بالحكم الآنف ننحني باحترام وخشوع امام اعلام النهضة المهجرية العظام لانهم ذللوا لنا بجهادهم النبيل الكثير من الصعاب والمشاق وسعوا لنا الكثير من السبل والآفاق .

ما ان توارى هؤلاء الموهوبون عن البصـائر والعيون بعضهم (كرهاً) وبعضهم اختياراً حتى اخذت جيوش الظلام تدب نحونا رويداً رويداً وقادة الفكر فينا لاهون لاهون نائمون . فاذا بافقنا الواسع الذي كانت تحسدنا عليه الاقطار العربية يضيق قليلاً قليلاً حتى كاد يتحول الى حلقة حديدية تحيط باعناق الاحرار المفكرين القلائل الذين قضى سوء طالعهم عليهم بان يواصلوا العيش فيه . واذا بنا ونحن في ارقى بلاد الله شرائع واعلاها ثقافة نعيش في جو بلا اكسجين شجاعة ولا جرأة ولا حب استشهاد في سبيل القضايا النبيلة والقيم الخالدة . بل كل مـا فيه مظاهر تقديس وتدليس وفقر روحي موحش . فصرنا اذا فتحنا عيوننا على مقالات تكتب وجدناها بلا نور ولا فكر .

واذا نظرنا الى قصائد تنظم وجدنا « لا لون فيهـا غير لون النضار » ولا ثمر !

واذا ألقينا على ادبنا نظرة اعتبار اجمالية وجدناه ادب مرايا . ادب انعكاس تفكير الغير، او ادباً لفظياً لا وجود للابداع الفني فيه ولا اثر ! هذه حالنا اليوم بعد نهضتنا المجيدة تلك . نعيش في ديجور على غير هدى وبلا نور .

انك يا اخي القــارىء قد ضقت ذرعاً بهذا السبيل . واني مثلك اشكو من ضيق آفاقها ومن تلالها الصلعاء التي تحجب عنا مرأى ما وراءها من المروج الضـاحكة والبقاع الجميلة الآهلة .

واني مثلك ايضاً ارغب في آفاق روحية جديدة واروم على الاقل توسيع آفاقنا الحاضرة وفاقاً لمقتضيات التطورات العصرية فهل تسمح لي بان اضع كتفي الى كتفك لنتعاون على مكافحة قوات الجهل والخوف ولنتلمس معاً طريقنا في ظلمات الحياة ؟ .

اراك بعين الخيال تجيب بالقبول ولكنك تستدرك بقولك «انك تخشى اعراض الناس عنا وهزءهم بنا وشماتتهم باعمالنا وبعبادئنا ، وليس في العالم كله امر يجلب الى نفوس اهل الاصلاح الالم والمرارة كشماتة الناس بهم وبعبادئهم النبيلة» غير اني الفت نظرك الى حقيقة راهنة وهي انه لو اخذ المصلحون ، على مختلف دعواتهم ، برأي الجاهل وجاروه في سخافاته وجهالاته ومعتقداته السائدة والفاسدة لهجروا دعواتهم التجديدية الاصلاحية ولما جملوا لنا الدنيا ولازينوا لنا الحياة . بل لبقينا نعيش كما عاش اجدادنا الاولون في غياهب المغاور وظلمات الكهوف .

اما وقد صممنا على توسيع آفاقنا ومواجهة عواصف الجمهور الرجعية غير مبالين بها ولا عابئين فاننا قد خطونا ، دون ان ندري ، خطوات واسعة الى الامام في طريق الحق والفلاح فهلم بنا نرسم خطة واضحة نسير بموجبها فلعل بين بني قومنا من يروم ان يصاحبنا في طريقنا الجديدة .

هاك خطتي اقدمها اليك بكل احترام فاذا راقت لك كان خيراً واذا لم ترق ندرس خطتك انت وخطط غيرنا ثم نختار منها جميعاً خطة واحدة نؤمن بصوابها .

يروى ان « ارخميدس » صاحب نظرية الثقل النوعي وسواها قال لاهل زمنه « اعطوني مكاناً لقدمي فاهز لكم العالم منه » ونحن انت وانا وامثالنا ، نريد مكاناً لاقدامنا ، لا لنهز العالم منه كما اراد ان يفعل صاحبنا ارخميدس . ان العالم من دوننا يهتز هزات عنيفة تكاد تقوض اركانه . نحن انما نريد مكاناً من ارضنا لنقف على اقدامنا كالرجال . « وكانطيوس » في اساطير اليونان نتمسك بامنا الارض الخالدة ونحارب هراقلة اهل الظلام من طغاة ورجعيين وظالمين . فاذا غلبونا والقوا بنا الى الارض استمددنا منها — من قوتها — قوة جديدة فننهض اقوى عقيدة واشد مراساً .

والآن وقد وقفنا على ارضنا وفي انوفنا رائحتها — رائحة الجهاد والكفاح — انرى الاعاصير والزوابع تجمع صفوفها المؤلفة من اهل الرجعة والجهل وطلاب الوظائف ومستغلي الطوائف ، نراها تسير نحونا مهددة منذرة تبغي ان تقتلعنا من ارضنا وتردينا الحتوف . فهيا بنا نسرع الى نصب خيامنا لنتقي شرها الوبيل .

أتعرف يا اخي القارىء كيف تنصب الخيام ؟ الخيام التي لا تقتلعها الزوابع مهما عصفت والرياح الهوجاء مهما ولولت ؟ لعلك تعرف ذلك ولكنني استأذنك في بسط طريقتي فقد تجد فيها فائدة وها كها :

خذ بيدك وتداً ودقه في الارض دقاً شديداً حتى يصير جزءاً منها ثم اربط به حبلاً متيناً واربط بهذا الحبل احد اطراف خيمتك أفعلت هذا . حسناً فعلت ! ادع هذا الوتد « الايمان » فمن دون ايمان لا يستقيم في ارضنا ولا في سواها عمل اياً كان نوعه . وليكن ايمانك بالله : لان الذي يؤمن بالله يؤمن بان الغلبة للحق والعدل . ومن كان هذا حاله لايدع لليأس طريقاً الى قلبه ولا للشك سبيلاً في افساد سعيه لتحقيق ما يرضي ربه ووجدانه . فيصبح ويمسي ثابت الجنان كثبات صخرة جبل طارق تتحطم حوله امواج خيانة الصحب والزمن فلا يبالي بها ولا يكترث .

ولكن الايمان ، وان كنا جعلناه الوتد الاول والاهم لتثبيت خيمتنا ، لا يكفي . فاذا قال صاحب الايمان لهذا الجبل : انتقل من هنا الى هناك . . . انتقل وقلنا هذا قول جليل وجميل جداً ، ولكن الجبل اذا انتقل من مكان الى آخر يبقى جبلاً ولا نستفيد من انتقاله شيئاً فمن البديهي اذن ان الايمان وحده لا يكفي ولا بد لنا من وتد ثانٍ لتثبيت خيمتنا . خذ وتداً آخر وافعل به ما فعلت بالوتد الثاني وادع هذا الوتد « العمل » . العمل المنظم الواضح الاتجاه ! ان الايمان من دون عمل كالماس المدفون في جوف الارض لا يفيدنا شيئاً . لا يزين لنا الدنيا بجماله ولا يزيدها فتنة ببهائه . فالذي يؤمن بالحرية على مختلف انواعها ولا يعمل على حمايتها من بطش الظالم العاتي او استردادها من المستعمر الغاصب يرتكب جرماً لا يغتفر وكان خيراً له الا يؤمن . ونحن معشر العرب اكثر الناس حاجة الى ايمان يدعمه عمل ، عمل بعيد عن الاوهام والاحلام لنقوى على مكافحة شرور الصهيونية والاقطاعية . والسلطان الجائر اياً كان نوعه .

لقد كادت يا اخي تستقر خيمتنا وتثبت للزوابع والعواصف . فالايمان والعمل هما سرا الحياة . ولكنها لا تزال بحاجة الى تمكين وتشديد . فخذ وتداً جديداً وافعل به ما فعلت بالوتدين الاولين . وادع هذا الوتد « الحرية » غير اني قبل ان افسح لك المجال لتتلفظ بهذه الكلمة الساحرة اسرع اليك واصرخ بك باعلى صوتي محذراً اياك منها . فلكم صرت اردد بعد اختبار مر اليم قول مدام رولان فيها وهو «ايتها الحرية النبيلة كم من الجرائم ترتكب محتمية باسمك» بيد ان هذه الحرية التي اشارك مدام رولان في التذمر منها

قلق ونقمة

بقلم احمد سويد

☆

صديقي العزيز : علامة استفهام حائرة محدودبة، تتمطى على شفة الغد ، أترانا قديرين على ان نقوم عوجهـا ، لتنتصب علامة تعجب لها امتداد هيفاء وقوام فرعاء ؟ .

لا يدري الاملود – يا صديقي – يوم يهتز ريان ، ماذا تخبيء الاقدار لبراعمه ، ولا يدري علام يستفيق ؟ اعـلى هزار يهدهد احلامه الامل ، ويوشي دنياه الهوى والربيع؟ ام على بومة تجثم فوق كآبتها كظل الموت ، ثم لا تنفك ترجع ابداً مرثاتها الخالدة ! ؟ .

حبكت احلامي بالامس من الشعاع الراقص ووهج الشمس ولملمت اماني عن بواسم الثغور ومباسم الازهار ، ودسستها في وعيي رؤى .

وآمنت بنفسي في ساعة زهو ، وداخلتني خيلاء طاووس في هناآت سبحة ، وكأنما نفخني الشيطان وحشاني اعتداداً، فاعتليت صخرة الحياة ، استشرف ، من عل ، آفاقاً مجهولة ، وازيح ستائر الغيب عن ملامح الغد : الغد.. لي، هكذا انفتح شدقاي، وتدفق الايمان من اطرافهما استعلاء. ثم اصغيت ، لترتطم « اناي » بجبهة الاجيال ، ولأسمع بعد ذلك صخب الصدى .

من ظلمات القرون المكدسة في زوايا الماضي ، اطل « هيجو » ينفض غبـار الخلود شعراً ، ويغمز بعينيه ساخراً : « لا ، لا ، يا سيد ، ليس الغد ملك احد .

انما زمام الغد ، بيد الله .

منذ ذلك الحين كفرت بنفسي ليؤمن بهـا الناس ، حطمت « اناي » ليجبلوها .. اضعت اسمي ليجدوه ومنذ ذلك الحين ، آليت ان يكون لي ظل البجعة العابرة ، والا يسمع الناس مني الا اصطفاق الجناح واصطكاك المنقر .

ويحي ، ما اشد حمقي .. أأطمع منهم ان يعوني وقد عققت نفسي؟ أأطمع منهم ان يبنوا ما أهدم وقد امطرتهم بغضاً ونقمة ؟ .

والتي احذرك من شرها هي الحرية الفوضوية، حرية العاطفة الجامحة التي لا تضبطها المسؤولية نحو حقوق الغير ولا يقيدها نظام. انها حرية صاحبنا المبتلي جان جاك روسو وتلاميذه زعماء الثورة الفرنسية. لتكن حريتنا غير هذه. لتكن حريتنا حرية نفهم بها اننا لن نتمتع في ظلها بحق قبل ان نرضى بحمل مسؤوليته وما يصحبه من تضحية ونظام.

اني ارى خيمتنا قد نصبت وكادت تستقيم غير انهـا لا تزال متقلقلة الى حد من احدى نواحيها وخير لنا ان نزيدها تمكيناً بوتد جديد . فلندعُ هذا الوتد الرابع « التعاون » ان التعـاون وحده يخلق الثقافات المولدة والحضارات الحية . اما الجهاد الفردي وان يكن محموداً فهو محدود الفائدة . ونحن معشر الشرقيين اكثر الناس احتياجاً الى فهم ضرورة التعاون الاجتماعي لمصلحة الامة التي ننتمي اليها او البيئة التي نحيا فيها . فاذا آمنا وادركنا ضرورة التعاون وفهمناه فهماً صحيحاً نفهم ضرورة التعاون الاممي لمصلحة العالم كله وعندما نفهم حقيقة مصـالح الافراد والامم وتماسكها وترابطها بعضاً ببعض ، فلا تلتبس علينا قيم الافراد ولا الشعوب ولا الامم بل ننظر الى انفسنا كوحدات في كيان امة هي ذاتها وحدة صغيرة في عالم هو نفسه ايضاً وحدة صغيرة في كيان عوالم لا تحد.

والآن ارى ان خيمتنا قد نصبت واستقرت واستقامت فلن تقوى الزوابع مهما عصفت ان تزحزحها او تزعزعهـا او تقتلعها فلنتمسك اذن بهذه الاوتاد « الايمان . العمل المنظم . الحرية الواعية. التعاون . » لانها اوتاد الحكمة الاربعة ! فان نفعل نستطع ان نواجه العالم باجمعه غير خـائفين ولا مضطربين . بل مطمئنين اطمئنان الواثق من الظفر المتأكد من الفلاح . ويأتينا النصر .

نيويورك

راجي ضاهر

ايتركوني وشأني .. لست أريدهم ان يقيموا لي تمثالاً .. ان ورقة الخريف لا تخلد — يا صاحبي — ولكنها يخلد على الدهر معناها الاصفر !!

ليحشوا اسمي — ان ارادوا — سكينة كسكينة القبر ، ولتنهمر عليهم اللغة انحشوه هواء، كذاك الذي يملأ اجواف «الطبول».

اود لو يبلغني المجهول ، فأكون في جوفه نكرة ، لا تعرفها حتى لفظة « مجهول »، يقولون ان للالم ينابيع تفجره بعنف السيل ، او ينثال منها صامتاً ، كأمواج الظلمة من اوداج الليل ، ولطالما تقصيت آلامي ، وتتبعتها بدقة الجنائي لاكتشف منابعها الاصيلة ، فما ازددت الا جهلاً وحيرة .. وما ازددت الا تيهاً في شعاب نفسي الحالكة حيث تستريح ظلال الليل !!.

لماذا اتألم ومم ؟ لا أدري .. لا أدري .. ولعل جهلي حقيقة السر ، هو وحده كلمة السر .

كثيراً ما اتهمت نفسي وأدنتها : «خزاك الله يا نفسي ، فيك تسكن روح بكاء ، وكآبة بومة ، ولعل الخالق يوم جبلك تناول طينتك من الحمأ الآسن ، وطرّاها بدموع البائسين » ! ولكن امسي الدابر ينسل من جبهة الزمن ، وينبري ليدافع عن هذه المسكينة المدانة ، لينقض حكمي الجائر عليهـا ، فيلوّح لعيني بأيام تشرق بعزم الشباب وعنفوانه، بأحلامه ورؤاه، بالتي تحيل دنياي فردوساً ، صغيراً أحبه ، اداعب حوره فلا تنفر ، واراود متعه فلا تتمنع ! .

هو الانسان قلّب حوّل، كثيراً ما يلهو فيشتري الشقاء بسعادته ، وكثيراً ما يقامر بأمانيه فيربح عبسة الحياة وسخرية الاقدار ولقد تخدعه نظريات علم النفس، فيؤمن ان تعمّل الحالات النفسية ولبوسها يركزها طبيعة . لذلك يطرق امام ألغاز الوجود، اطراقة الفيلسوف، ويطرح ظل اهدابه الجامدة على حدود المجهول، كمن يحاول ان يستل من اسراره سرها ، ولكنه لا يجني ، في النهاية ، سوى قبضة من التجاعيد والخطوط ، حناها التجهم ، وركزها فوق انفه ، وبين عينيه ، وفوق حاجبيه !!.

لا، لا .. لست منهم اولئك الذين يتوهمون ان الاسراف في التقطيب والتشاؤم اغراق في الفهم والادراك ، وتعمق فقه الحياة ، والتفقه في نواميسها وقوانينها . وكل ما أحسه اني جائع وجوعي ليس كجوعك ، لانــه جوع الى السكينة ، جوع الى اللاشيء . واحس في نفسي ايضاً ظمأ كظمأ الرمال التي روّاها السراب فما ارتوت .. ظمأ الى كل ما لا يستسيغه الناس ! .

لم يعد الهرج العاجي يستهويني ، ولم تعد انواره الزرقاء تغويني لا ، ولا جلجلة الوحي التي تدوي في اجوائه ، ولا اشعاعات الخلود التي تهرق في آفاقه ! اما قلمي .. فسيكون عكازي الى الكهوف المظلمة، الى الصحارى الماقة الجرداء .. او مجدافي الى جزيرة النسيان !!.

صديقي : ليت صديقك يستطيع ان ينفلت .. اذاً لانطلق كصاروخ يتغلب على جاذبية الارض ميمماً وجهه نحو القارة السوداء ، يضيع في مجاهلها ، ويأنس نوحها ، ويرتاح من مضايقة الناس ، الناس ، هؤلاء الادعياء يتوهمون ان عرانين انوفهم تحك جبهة الشمس، وانوفهم المجدوعة تندس في الحمأ، وتتمرغ في التراب.

بدت الحياة لعينيه كالحة كوجه الغراب ، واكفهرت لياليه فما شع في ظلماتها حباحب امل ، والتمس فيما حوله قلباً يخفق من اجله قلباً يشاركه الوجيب، فما الفى سوى صخور صماء جامدة رماها سيل الزمن باحتقار ، على جانبي طريق الحياة ..

وارحمتاه له .. حتى الورود اذا فاجأ البسمة في مباسمها تحول الى عبسة ، وحتى « صومعته » كان اذا لبسها البسته كآبتها ، فكأنه وهو يتجمع في زاوية مظلمة من زواياهــا ، كتلة صهرها الجحيم فصبها القدر جلموداً ركلته الحياة كما تركل رجـل الطفل الدلع اللعوب دميته المحطمة ! .

لقد تضاءل ، حتى ليخيل لناظره انه تصميم بشري لهـا عن تجسيده الخلاق ، وهزل ، كأمل المحكوم بالموت سـاعة يسأله الكاهن وصيته الى الدنيا ، وجد ، كجني مارق ، فاجأته النجمة الرقيبة يسترق السمع على فجوات السماء ، فانقضت عليه كامنة من فم الله او رجمة !!. وما اكثر ما فكر — يا صاحبي — انه دخيل على دنيا الناس، حرمته الآلهة من مواريث الارض ، او طفيلي نبت على جذع الانسانية، كالشعرة الحقيرة تنبت على ساق جبار ، وما اكثر ما احس انه عبء على نفسه ، على تلك النفحة الآلهية التي سكنته مرغمة ، ولبثت فيه على مضض لتملأ فراغه الوجودي بلهاثهـا ، ولتدفىء برودة كيانه بحرارة الوجود الانساني .

وكم من مرة اكبر اولئك الذين تعقهم الحياة فيعقونهـا . يكيلون لها الصاع صاعين ، وينتقمون لانفسهم منهـا فيخنقون نسائمها فيهم .. اولئك يهاجمهم المتشدقون فيرمونهم بالجبانة .. اما صاحبك فيقسم انهم المثل الاعلى للبطولة ، لان بطولة الشجاع انما تقاس بنسبة اقدامه على خطر يكمن وراءه خطر اعظم، ولعمري اي بطولة اعظم ممن يتحدى الحياة بالعدم ??

هكذا كان ينظر الى نفسه . والى الوجود حوله .. حشرة حقيرة تغرق في مستنقع وحل ، والخير لها كل الخير الا تجالد، ان تستسلم .. ان ترسب في القاع لتصهرها عوامل الطبيعة ، وتلاشيها

قبر اخي

●

من تلك التي تتعثر في مشيتها من بعيد في هذا الظلام الحالك من هذه الليلة المخيفة ؟ الى اين تسير هذه المتشحة بالسواد في ليل برده قارس لاذع .

انها والليل سواء . . ليل جيّاش فوار باحداثه واسراره . . وامرأة في قلبها احداث وكلوم .

من هذه التي تترك نوماً هنيئاً وفراشاً وثيراً لتخرج في مثل هذه الساعة تقصد المقبرة ؟

إنها العذاب والألم والشقاء .

الريح من نواحها المرير حزين والسماء من تأوهاتها الباكية تمطر الدنيا وابلاً من الحزن والشجن . والغابة المجاورة تحمل نغماً حزيناً هو نغم الموت والحياة .

وانا حزين . . . تحطّمت آمالي على قبر اخي .

كانا حزين . . وكلنا متألم، وكلنا في الالم يرتل صامتاً الا هذه المقبرة التي لا تتحدث ولا تتألم ولا تفرح .

حزن شامل . . ولكنّ عينيّ لا تدمع . . . ! ليتني تعلمت البكاء . . علّني اجد في العبرات بعض العزاء .

من انت يا من انسيتني قبر اخي ؟ . . .

هذا القبر الذي يضم كل آمالي . . .

جئت في هذا الليل الحائر . . اترحّم على اخي . . !

لك احزانك ولي احزاني . .

فمن انت ؟؟ بالله اسرعي وعزيني، انها جريحة الفؤاد . . وان في خطواتها لمقياساً قد سجل رقماً عالياً للشقاء .

لا تقـ ايتها النائحة النادبة . . اولى لك ان تتركيني . دعيني ابكي اخي الذي تكفلته . . وعقدت عليه كل آمالي . . يا للقدر الساخر !! . لم يرحمني القضاء فارسل سهمه القاتل ليستقر في صميمي . .

انها تقرب !! . . تقرب مني . . . فمن انت . . . أأنت روح اخي عادت اليّ في عجوز دعيني . . . دعيني . . من تبكين في هذه المقبرة ؟ . .

. . . انها . . انها امي تقترب من قبر اخي .

عجلون – شرقي الاردن

عبد مزاهره

اسباب الفناء فلا يبقى منها حتى الظل . . وحتى ذراتها المنحلة تذروها – بازدراء – ريح العدم ! .

ولكنه الانسان . . . ياصديقي – يتملكه حب البقاء، ولكي يغرر ذل نفسه وخنوع ارادته يخترع لنفسه عكازاً . . يتفلسف ! !

لا يدري لِمَ يمقت نفسه كل هذا المقت ؟ تخيل كره المحكوم بالموت لذلك القاضي المرعب الذي لفظ الحكم ، والوالدة المفجوعة لذكرا الحرب التي اختطفت وحيدها . . بمثل هذا الكره يصفع نفسه !!

ألف الكآبة، فهو يحسها من متممات شخصيته، بل انها الهالة الحزينة ، او الاطار القاتم الذي يحيط بها ويؤطرها ، اذا حدقت في عينيه ، الفيت انسانيهما يضيعان في المجهول، وشعاعهما ينفذ الى حيث يتلاشى المدى وتضيع الابعاد .

ساهم . وان اطبق اجفانه طواها على دنيا سوداء لا يتبين في امتدادها سوى تكشيرة الشقاء النفسي ، وعبسة الالم الوجداني ، تبرقان في آفاقها المتجهمة كعيني قطة سوداء في ليل حالك الظلمة، اعمها .

ليته كان وتراً . . اذاً لعصى الانامل التي تحركها النشوة وغشي غشيته العبقرية ليذيب الحياة بكل ما فيها لحناً شقياً !!.

او ليته كان « قافية قلقة » اذاً لتمرد على النغم الراقص وابى الا ان يكون « دمعة » . . ولكن مـاذا تجديه « ليت » وقد ارادت الحياة ان تجدف فقذفته لعنة متمردة . .

لئن استهوتك الجنان يا صاحبي ، ومسح حورهـا اجفانك بالزيت الملتهب المقدس، ولئن نقلتك الاجنحة الخفيفة الى ملكوت الجمال والهوى والنشوة ، الى دنيـا تمطر الحب والشعر والرؤى ، فصاحبك سمّره الالم بعيداً عن مسالك « الجنيات » اللاتي اعتدن ان يرتدين النار والنور ، ويلبسن الشعاع بلا لون ، لينفذن الى حيث يكمن الخافق ، فيفتحنه للنور، ويطهرنه بالنار ، ويغمرنه بدفء الحياة ، ونعمة الشعاع !!.

بعيداً عن تلك المسالك قبع . . ينهش تلك المضغة التي يسمونها « القلب » ويلوكها لينثر بعد ذلك فتاتها على قارعة الطريق ثم ليجثم هيكلاً اجوف خاوياً لا يتردد في فراغه صدى لخفقة كأنما ارادته الحياة ان يضن على الوجود حتى بأناته وآهاته ، وكأنما آلى على نفسه ان يضن على الناس فلا يلقنهم – على الاقل – فلسفة الطبل .

ليتك على مقربة منه تجرّعه الامل، وتدفعه برفق لتخرجه عن نقطة المركز الثابت عله ينفلت من عبودية « المزاج » فتفوف البسمة شفتيه ، ويبرق الرضا في عينيه . . الا ليتك !!.

احمد سويد

الى الشاعر

غن لما كنت لهذا الوجود
الا هزاراً بعثتك الحياه
في قلبك المفتون لحن الخلود
قد وقعته فيك كفّ الإله .

***

ما انت الأ بلبلٌ شاعرٌ   أنطقك الله بألحانه
بعثت كالزهرة في طهرها   تطرب للنهر وتحنانه
تظلّ مغرىً بطيوف الرؤى   تهيم بالنور وألوانه
وترشف الدمع كقطر الندى   كالزهر في ذروة أغصانه
مولياً وجهك حيث اغتدى   قلبك مغموراً بإيمانه
وشاخصاً طرفك عبر السما   ودمعة الرفق بإنسانه
مستلهماً من وحيها قبسة   تفيض بالحب ووجدانه

***

يا شاعري استعرض جمال الوجود
وغنّ فيه برواء الحياه
ففيك معنى من معاني الخلود
قصيدةٌ أبدع فيها الإله

***

ما أنت الاّ وترٌ نابضٌ   اودع فيه سحر أنغامه
فجاء قلباً عاطفي الهوى   موقعاً أنات آلامه !
غفت بجفنيه عذارى المنى   واستيقظت أعراس احلامه
فهام في وادي خيالاته   مستغرقاً في بحر أوهامه
وجنّ بالفن فأوحى له   آلهه ينبوع الهامه
غنّى فرقّ الفجر من لحنه   ودب في رقة أنسامه
فحنت الاطيار في وكرها   حتى بكى الزهر بأكمامه

***

يا شاعري لا تبتئس في الوجود
وابسم لكي تبسم فيه الحياه
وهبت للفن نشيد الخلود
فجئت فيه مبدعاً كالإله

لمحمد سعيد المسلم
القطيف — البحرين

من ديوان الصدى الحائر
معدّ للطبع

لقد قالت لي الخادمة انها لن تعود .. ترى هل تصدق في حدسها هذا من يدري لعل هذه الخادمة الثرثارة قد قرأت في عينيها انها تكذب .

ولكن لماذا لا اصدق هذا الظن والا فلماذا هي امرأة . ان بي ميلاً الى ان لا اصدق ما تقوله هذه العجوز ولكن هل استطاعت في دقائق قليلة ان تستجلي منها الكذب والمكر .

انها تكذب .. انها تكذب .. انها تهذي ستعود لاني اريد ذلك نعم ستعود ، ووقف الى النافذة يرقب من خلالها المارة يعدون في الطريق يريدون الوصول الى بيت او مقهى او حانة . ثم ينظر الى الزجاج وقد سالت عليه الامطار خطوطاً متعرجة متكسرة وينظر الى الطبيعة الغضبى ويصيخ السمع الى العواصف الهائلة التي تعتمل في الخارج ثم تلهيه عواطفه او عواصفه عن كل شيء عداها . ويرمق بعين غائرة التعاريج التي رسمتها الامطار على الزجاج فيقرأ في ثنياتها . لن تعود . . لن تعود ثم تتحول هذه الصورة البصرية الى صوت يهمس في اذنه ويضج هو بالصوت ويضج الصوت به ثم اذا بالهمس عواصف تعول وتصيح به . ايها الاحمق انها لن تعود . . لن تعود . . ثم ينظر الى النافذة من جديد فتنبعث منها شياطين ومردة تضحك وتبكي تقهقه وتعول وهي تغني بنغمة رتيبة . . لن . . لن تعود . . واذا به يستحيل شيطاناً مثلها بصوت بين الضحك والبكاء . . ستعود . . ستعود ويهجم على النافذة يريد تحطيم الابالسة التي يراها وهو يصيح ستعود . . ستعود لاني في حاجة اليها ويكاد يضرب الزجاج بقبضته لما تخور قواه فجأة ويرتمي على اقرب مقعد اليه متراخياً وقد احمر وجهه وسال من جبهته رغم البرد الشديد سيول من العرق كأنه خاض معركة هوجاء ثم يبكي ويبكي بعمق ،

انه متعطش .. متعطش الى العاطفة .. الى الحب . الى الفناء . انه في ظمأ ، وظمأ مريع .

لقد قال انه يحبها وانه يعبدها فكان منها ان ابتسمت او قهقهت انه لا يذكر ثم ربتت على كتفه وقالت انها تحبه هي الاخرى حباً لا يقل عن حبه لها وفاهت بكلمات عذبة يذكر انها اسكرته فاغمض عينيه واستسلم لخياله المجنح يتخيل البيت الهانيء العذب سينيه بيديه الكليلتين ويتخيلها جالسة وهو ينظر في عينيها الصافيتين ويداه تعبثان بشعرها الذهبي المرسل .. تخيل العش السعيد الذي سيضمها فيملأ الدنيا شعراً والحاناً وهي وحي ما به قلمه من الابداع ثم يفيق من خيالاته على صوتها الناعم اللذيذ وهي تقول له انها ستذهب لاحضار بعض الحاجات الضرورية لها ثم تأتي اليه كي يغويها الى حيث يشاء . ترى هل كذبت لما قالت له هذا ، ان صوتها المرنان العذب لا يوحي بالكذب وقد شعر بالطمانينة التي اثارتها فيه هذه اللهجة الرقيقة الوادعة .

***

ولكن كيف عرفها انه يذكر ذلك تماماً وان هذا مما يبعث في قلبه الدفء والنشوة . . لقد كان منير ، ولكن هذا اسم صاحبنا ، اديباً موفقاً له جولاته الموفقة في الشعر وهو الى ذلك موسيقي ينعتونه بالموسيقار الالهي . . كان اديباً لامعاً ان كان الناس لا يعرفونه مما نشر فانهم يعرفونه مما يسمعون عنه من اصدقائه المعجبين به ؛ كان مثالياً سامياً او متسامياً ربما وجد الناس في سموه بعض الكبر وان كان اودع من ان يكون دعياً وكان مما يمضه ان يعيش في وسط يطغى فيه صوت المادة المعربد الثائر على همسات الروح الرقيقة الهائمة .

لقد كان له الاصدقاء وكان له المبغضون كان له المعجبون وكان له كل شيء الا انه كان والقلب ... قلب الفنان الحساس لا اي قلب عادي ... انه يزعجه وينفر منه ويفتش عبثاً عن الخلاص وهو ضائق بقلبه يفتش عمن يسرقه ولا من سارق تحلو له هذه الغنيمة ... يعرضه للسرقة وما من جريء على اقتحام هذه المهلكة . من قال لهم ، ان الفنان نار تحرق نفسها ومن حولها ... او لعل السارق حاول السرقة لكن الغنيمة استعصت عليه فلم يعالجها برفق



بقلم انطوان حمصي

لقد جاء وإياها منذ ساعة الى هذا الفندق وبقيت معه مدة عشر دقائق ولقد كلمها بلهجة عميقة مخلصة وبثها ما في قلبه ، ولو انه اسمعها هذه النغمة منذ عهود طوال ..

ودراية فعادت الى صمتهـا الموحش في الاعماق . . . هناك في اعماق النفس الولهى

***

قالوا له انهم يقيمون سهرة فلعل عنده رغبة في حضورها وكاد يرفض لولا ان السأم ألح عليه وقلبه . . . قلبه البائس الكبير دفع به الى القبول كأنه خمن شيئاً ويجيب بنعم وكأنها لا قلبه قالها ولم يقلهـا عقله فيقلب صاحب الدعوة شفتيه امتعاضاً ولكنه يكتفي بقبول منير الدعوة وكأنها غنيمة كبرى . .

من حدثه ان صديقه هذا تحفة تعرض على الناس او دمية يلهون بها . وذهب الى السهرة فاذا بها وكأنها ليست بسهرة وحفلة وكأنها ليست بحفلة فهي بين الاثنتين ليست بسهرة فهناك مدعوون و . . . مدعوات وليست بحفلة فليس هناك كؤوس وان ينتظر احد عربدة السكارى .

ويعرفه صاحب الدعوة بالمدعوين ثم ينساهم بنفس السرعة التي عرفهم بها ويستمع لما يقال وقد يكون فيه ما يهمه ولكنه لم يفهم .

واذا به وهو في احلامه اليقظة يسمع صديقه يطلب اليه ان يقرأ بعض اشعاره ويهم هو بالاعتذار فيسبق الاعتذار الحاح فهو يطيع على مضض ويقرأ بعض قصائده ولعلها القصائد التي تنطق بنهمه فيلتهب جو الغرفة بين مستحسن وحاسد ويلمح هو بين الضجيج والصخب عيناً تلمحه وتمعن النظر اليه ، ثم يطلب اليه صديقه ان يعزف على البيان بعض الحانه ويلح عليه فيطيع واذا بانامله تمر على المعزف برفق وحنان كحبيب يداعب شعر حبيبته واذا بالبيان ينطق باروع الآيات وابدعها فيصمت الجميع ويخيم على القاعة جو سحري رائع وتسيل دموع على وجه الصبوح المشرق فكأن الحانه داعبت امانيه كما دغدغت قلوب سامعيه ويكف فجأة عن العزف ويسقط على مقعده متهالكاً فتصيح النساء جزعى ويهرع اليه الرجال فإذا به غارق في مقعد وثير واصدقاؤه يدلكون جبهته بايديهم ثم يسقونه شراباً منعشاً فيصحو ويعتذر برقة . ويقرع الباب وتدخل منه فئة كبيرة من المدعوين يطمئنون عن صحته فيشكرهم بابتسامته العذبة الفاتنة وتتقدم منه فتاة حسناء طويلة القامة شقراء الشعر زرقاء العينين تقدم له نفسها وتطري شعره والحانه فينظر هو الى « الهام » ولكن هذا اسم فتاته ، نظرة عميقة فتتقي انظاره بأن تدير وجهها ويقوم هو مستأذناً ويسير فاذا بالهام ترافقه فان طريقها نفس طريقه ويتحدثان في الطريق وهو لا يذكر ما تحدثا به لانه كان في حالة لاشعورية تماماً ولكنه يذكر انه ارتاح الى حديثها وشعر بنشوة عميقة افتقدها لما ودع الهام قرب منزلها .

ولكن هل يقول لنفسه انه احبها انه حائر ولكن قلبه متحفز متوثب وقد شعر بالفتوة والحياة .

***

وتستمر هذه الحالة طويلاً فاذا به يعترف لها بحبه بعد تردد طويل ويحدثها عن منطوق الحانه واشعاره فاذا بها ملتهبة مثله ويتأكد من حبها له او يعتقد انها تحبه .

والفتيات لا يكتمن عن بعضهن سراً والهام لا تشذ عنهن في شيء . وان اعتقد صاحبنا ذلك عادية جداً الا ان منطق العاطفة . . (هل هو منطق حقاً ؟) اوهمه انها غير عادية بل مثالية خارقة .

وتلتقي الهام بلفيف من صديقاتها بعد اشهر ثلاثة فتحدثهم عن علاقتها بمنير واذا بها تعلن سخريتها منه وتعجب فتاة من هذا وهو الفنان الذي تتمنى كل فتاة لو احبها فتقول لها الهام « تصوري يا صديقتي هذا الابله الذي قد مر على علاقتنا ولم يكن بيننـا اكثر مما يكون بين شقيقين فلااظفر منه الا بالاحاديث والاحاديث الطوال عن الحب والعاطفة مما لا افهمه ولا تستطيعين فهمه . اني احبه لا انكر ذلـك ولكنه يضحكني بحمقه وخجله الذي لا مبرر له ، كأن الحمقاء تظنه يخجل منها ولكن هل بامكانها فهم مثاليته انها تحبه ولكنها لا تستطيع فهمه ، تلك . . ازمة مستعصية .

ويحوم حولها شاب خفيف الظل رشيق فاتن فهو يحبها وهي تحب ذلك الفنان التائه ثم تشعر انها تعطف على هذا الشاب واذا بالعطف يتطور الى الحب او ما يقرب من الحب او بشيء من الجرأة ما يقرب من الاشتهاء الجسدي . . ويشعر منير بمـا يدور حوله فيتألم ويكتم الا انه يعجز عن الكتمان طويلاً فيدعوها اليه ويعنفها في حرقة المستهام ويقول : واخيراً يا الهام هل انا دمية بين ايديك تعبثين بها وترمينها ساعة تعلمين اني اصبحت مريضاً بك بل مجنوناً اما شعرت اني جننت بك هياماً اما احسست عندما اسمعتك شعري والحاني بهذه العاطفة الجارفة التي تلهب صدري اما احسست بشيء من هذا . آه لو تعلمين كم احبك وامقتك احب فيك الفتـاة التي عرفتها في خيالي . . الفتاة المثالية التي وددت لو القاها ، وامقت فيك نفسك كانسان اني امقتك . . امقت صغارك المزري ، وتغلب

تمرد

الى حفّار القبور !

●

ساضحك ضحكات عالية
تملأ الفضاء العاري وتخترق الغيوم
تكرّ رعود الغد ..
سأضحك ... ومن يمنعني !
أحرقة الشمس الضئيلة !
أضوضاء الناس الخافت ؟ !
هل في الشمس قوة تتحدى قوّتي !
هل في الناس قيد يتحدى حريتي ؟!
ان قهقهاتي لاقوى من الشمس
وصداها لأصعق من نفخ الصور!
سانطلق عما قريب ...
حيث لا شمس ولا ناس ...
الى الليل ...
الى سر وجودي ...
الى الليل الذي يسايرني ...
يطفىء الشمس وينيم الناس ...
ارتياح من زعاق النهار !
الى الليل حيث أحن
الى عالمي ... ليس عالم الناس ...
الى الليل
عندما يقف فوق رأسي هادئاً
حاكياً هيومي ...
ان فرغ حبري مدني روحه ..
الى الليل رمسي ...
دثروني في الليل
أخاف ان ينهزم
اذا لاحت بارقة ..
عجّلوا يا قوم بدفني
وهيلوا تراب الزمن على رأسي
مللت النهار
تعب كلّه ...
الى الليل
الى الليل ...

ثريا ملحس

الدموع عليه فيضع رأسه بين كفيه ويبكي فتركع عند قدميه وتقول والدموع في مآقيها لا تقل هذا يامنير .. اني احبك ولست اخادعك كما تتوهم انا حقيرة اذا قورنت بك لكن حبي يدفعني الى التسامي وتحدثه عن حبها وتقسم وهي ليست بكاذبة ويحدثها عن شكوكه وهو ليس ايضاً بكاذب ، ثم ينصرف هو وتنصرف هي ويعود التنازع الى قلبها ، التنازع بين حبين . حب سماوي روحي وحب شهواني بهيمي فاذا بها تحار وتمضي في حيرتها على غير هدى فتتصل بالشاب الآخر تمنحه من قبلاتها ما أباه منير وتستبد هي في سيرتها ويستبد منير في شقائه فاذا به في هذه الليلة يدعوها اليه ويعيد واياها الحديث الماضي ويجابهها بمعرفته بالحقيقة وتحاول ان تقنعه لكنه لا يحيد عن ابتسامته الواثقة ويطول بينهما الحديث فاذا بعواطفه تتفجر ويصيح بها « اريد ان افهم لماذا تعابثينني ، اريد ان اعلم هل انا قبيح الى درجة تدفعك الى خيانتي . هل انا قبيح الى هذا الحد او انك كذبت ولم تحبيني ابداً . أتشفقين علي ، اني لا اريد شفقتك .. لا اريد شفقتك افهمت ، انا اقوى من ان استجدي رأفة من احد ، آه كم وددت لو اسحقك ولكن قلبي .. اللعين يمنعني .. لمَ سحقته بقدميك يا خائنة ؟ .. » ويجهش في بكائه ويهزها من كتفيها هزاً عنيفاً وهو يقول « سحقت قلبي بخيانتك يا خائنة » وتبكي معه وتقول انها تحبه وانها سوف تكفر عن الماضي بعد ان وثقت انها له دون سواه فيصيح بها « تستطيعين التكفير ولكن هل اصفح » واذا صفحت فهل انت صادقة من يدري ؟ .. فتقسم له على صدقها فيقول بجدة : اذاً سنفر ، سنهرب من هذه المدينة وستهربين معي اجل سنهرب منذ اللحظة ويركض الى حوائجه يهيئها وتعتمل في الهام معركة هائلة فهي تحب منير ولكنه مثالي فلا يستطيع ارضاء رغباتها كامرأة وتشتد فيها المعركة فتكاد يغمى عليها ثم تقول له انها ستعود اليه بعد ان تأتي بما تستطيع من حوائجها فيصيح بها لا لا تذهبي انا اخشى الا تعودي اذا ذهبت الآن ، فتقسم انها ستعود في نصف ساعة ويحول دخول الخادمة دون اعتراضه فتغادر الهام غرفته مسرعة وهي تقول انها ستعود وها هو الآن ينتظرها منذ نصف ساعة وهو يجتاز ارض الغرفة بعصبية وعنف وهو يقف بين الفينة يرقب من خلال النافذة المارة يعدون في الطريق يريدون الوصول الى بيت او مقهى او حانة ..

ترى هل تعود ...

دمشق — انطوان حمصي

بين الامومة والموت

بقلم رشاد المغربي دارغوث

★

هذه القبلة التي طبعتها على جبينك ، وانت مسجى فوق نعشك ، لم تكن قبلة الوداع الاخير .

لقد اودعتُ فيها حبي المكبوت ، منذ عهد بعيد ، وصببت فيها ذوب نفسي الحزينة ، منذ افقدك الاجهاد بصرك .

واقد عشنا ما عشنا اخوين، يقرب بيننا الفكر ، ويباعد الزمان والمكان . فانت هنالك ضابط تصمد في وجه الاعداء ، او مربٍ تعدّ الرجال ، وانا هنا طفل ألعب ، او ناشىء اقرأ . حتى اذا عدت الى البيت الذي درجت فيه قبلي ، لتنعم بحضن الام التي حملتني بعدك ، قام بيننا هذا الوقار الصفيق . . . !

فانت في بدء سلسلة من الاخوان والاخوات ، وانا في وسطها . وما بيننا من حلقات ، حري بان يجمعنا ، كان هو مبعث هذا الوقار المصطنع الذي يباعد بين الاب وبنيه ، في شرقنا العريق ، ويحول دون اندماج الاسرة الواحدة والشعب الواحد والامة الواحدة .

وما ادري كيف استبحت لنفسك ذات يوم ان تحمل الطفل الذي كنته ؛ فتداعبه حتى يتضاحك ، فينسكب منه في فمك ما يصبه الصغار على اثواب من يحملونهم من الكبار .

فقبلتي على جبينك المتغضن البارد ، لم تكن قبلة الوداع ، لانها القبلة التي احييتك في نفسي مذ سقط هذا الوقار المهلهل بين يدي الموت الغشوم .

لقد مزق الواقع الرهيب غشاء كنت اراك من ورائه . فاذا هذا الرأس الكبير الذي وسع العلم الغزير ، والخلق الطهور والنفس الابية ، جميع هذه الاشياء النادرة ، باتت كتلة لا حياة فيها ، لانها فقدت حقيقتها قبل ان فقدت انت الحياة .

ويسألونك عن الطب وعما صنع الاطباء ! فتدوي صرختك دوي صرخة الالم في قرارة النفس ، بعد ان عالجوك بالمحال الشهور الطوال «واين الاطباء ؟ لم يصف لي واحد منهم دواء يشفيني من هذا الداء !»

لقد فقدت ضوء البصر وحدة الادراك ، ولكنك لم تفقد الوعي ولا نور البصيرة . فقد كان الصحو الذي لازمك نصف قرن ، والوعي الذي صاحبك ربع قرن ، يعاودانك بين الحين والحين ، يحنان اليك او تحن اليهما ، واذا هي لمعات من نور العقل تشرق في وجهك النبيل ، لتخبو سريعاً بعد ذلك ، فتسقط معها في سبات عميق . واذا الظلام الذي ران على باصرتيك يرين على نفوسنا ونفوس ابنائك من حولك .

ولكن امك وامي لم تقطع منك الرجاء . فقد كنت عندها الاثير المفضل . فما للمرض مهما طال ان يسلب قلبها هذا الامل ، ولا للداء مهما تعاصى ان ينتزع من نفسها الايمان . فقدرة الله في يقينها فوق عجز الطب ، وجلاله فوق كبرياء الاطباء .

ولكن ما اقساك ايها الموت ! لقد سلبت امي ابنها الكبير يوم تعاظم عندها ذاك الرجاء واقترب الامل من حدود اليقين . وها هي يوم وفاته تواعد نفسها على لقائه يمشي بزهو الشباب ويبصر بعينيه جهدها المضني في سبيل انقاذه ، في صراع جبار بين حنان الامومة في سخائه ، وارادة الابوة في عنفوانها ، وصلف الموت في عناده .

وتستيقظ الطبيعة ذات يوم على وشوشات الزهر وزقزقات الطير . فتستحث الام ساعة اللقاء بعاطفة لا يحدها سوى تخوم الخيال ، وطاقة البشر على استيعابها . واذا نحن متواعدون معها على زيارة « المريض العزيز » ، في يوم الفصح المجيد .

اليس الفصح ذكرى انبعاث الحياة ، كالربيع نفسه ، بعث في الطبيعة ، كهذا الذى ترجوه الام لابنها المريض الشهيد ، مريض

ابن خلدون وما اداه الى دراسة التاريخ

بقلم محمد وهبي

☆

عاش ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلاد ، وقد حدد لنفسه في مجال الثقافة مهمة معينة وهي التأريخ. غير انه قبل ان يباشر بوضع مؤلفه الضخم، رأى ان يمهد له بمقدمة عامة مشتملة على قواعد وقوانين ثابتة عامة تبين المنهج الذي سيتبعه في التأريخ . وقد كتب هذه المقدمة فجاءت سفراً نفيساً تغلب في قوته وقيمته على سائر مواد المؤلف . فقد حوت آراء ونظريات شغلت المفكرين من بعده وخصوصاً في العصر الحديث ، بحيث قرروا بوجه الاجمال انها كانت الاسس الحقيقية الاولى لكل من علوم الاجتماع ، والاحصاء التاريخي ، و« فلسفة التاريخ » .

ويدور بحثنا هذا حول قيمة آراء ابن خلدون في التاريخ او فلسفة التاريخ فقط ، بمعنى عدم التعرض لآرائه في علم الاجتماع ، وذلك للبرهان على ان الذين قالوا بأنه كان المؤسس الاول لهذين الفرعين من فروع الثقافة كانوا فعلاً على حق .

ونستطيع ان نستخلص هذا البرهان من مجرد بحث نظريات

الاجهاد وشهيد الواجب والاخلاص في ادائه ؟ .

ولكن للاقدار مشيئات فوق مشيئة الناس ، ولو كانوا من الامهات . هذا القدر الذي شاء ان يضرب اخي في مستقر علمه ومقر وحيه ومعقد خلقه ، شاء كذلك ان تلقاه امه جثة هامدة .

فواحر قلباه ! لقد فقدتك امك يا اخي مرتين ، وهي لهذا يائسة تندبك بالدمع السخين . وواحرقتاه لقد فقدناك كذلك مرتين : مرة يوم اخلصت لعملك فانكببت عليه دون سواه، تؤثره باوقات راحتك ، وتخصه بنور عينيك وجهد اعصابك ، ومرة اخرى يوم اعجز داؤك الاطباء . فلفظت نفسك الاخير ونحن مطمئنون الى بداءة تعافيك باعجوبة من السماء ! .

لقد قال فيك رب الفصح كلمته ، والناس في افراح الربيع لاهون ، تلك الكلمة التي لا مرد لها ، فبعث بك الى الحياة الآخرة . فليرحمك الله ! وليرحم عيلتك بعدك . فانما حياة اليتم للقاصرين في هذا الشرق المتواكل وحياة الثكل للارامل ، حياة تاعسة مريرة .

وليتزل على قلب امك فيضاً من الصبر والجلد . فانت اول صبي رآه ذلك القلب ، وثالث ثلاثة من اكبادها فقدتهم وهم في شرخ الشباب .

ولعلك عرفت قلب الام ما ارحبه وما اعظم الصبر في حناياه ! انه لا يدانيه الا قلب الاب العامل الكادح، يصل الجهد بالجهد في صراع مع الحاجة نعرف بدءه ولا نعرف منتهاه . بل لعل الحكيم الذي قال « الجنة تحت اقدام الامهات » انما عرف ما لهن من فضل بما لهن من عمل دائم وتربية متصلة باخلاص . ولقد كنت يا اخي من هذا الرعيل، في حدود جنسك وخصائصه وتبعاته : كنت العامل الفكري الذي لا يكل والمربي المخلص الذي لا يعرف غير التفاني . فمن حقك ان تستريح في احضان .. الخلود .

رشاد المغربي دارغوث

ابن خلدون في التاريخ، لما نلمسه من التشابه العظيم بينها وبين آخر النظريات الحديثة التي تمتبر كنظريات انقلاب وخلق، بالرغم من ان ابن خلدون سبق اليها في نصها او روحها بقرون .

وأول ظاهرة تؤيد ادعاءنا، هي الاختلاف بين منهج ابن خلدون في التاريخ، وبين جميع من سبقه من المؤرخين في الزمن: فقد كان التاريخ قبله يعتمد على السند والعنعنة كما في الطبري، من غير بحث او تنقيب، وكان بعض المؤرخين يهملون حتى هذا النوع من الرواية؛ فكان من جراء ذلك ان حوى التاريخ شيئاً كثيراً من الخرافات. اما ابن خلدون فقد نقم على هذه الطريقة نقمة شعواء، وحاسب متبعيها حساباً عسيراً، حتى استقام له هدم جميع ما وصله من اخبار التاريخ، واعادة النظر فيها بعين العالم المدقق. اما المنهج الذي سنه ابن خلدون للبحث التاريخي، فهو الفتح الجديد الذي قام به فيلسوفنا في عالم الثقافة، وهاك مجمله.

وجد ابن خلدون ان الخطأ يتسرب الى التاريخ عن طريق تشيع المؤرخين لمن يؤرخون لهم. فان هذا التشيع يخفي الحقيقة الواقعة، ويصم الابحاث التاريخية بالتحيز الذي ينافي العلم المجرد. وبالفعل، في العصور الخالية لم يكن التأريخ في الغالب الا على هذا الاساس: اذ كان الملك او الشريف يستدعي عالماً من العلماء، ويكلفه بتأريخ أيامه ومآثره على اساس الدعاية والتمجيد، والامثلة على هذا النوع كثيرة وخصوصاً في تاريخ أوروبة، زد على هذا ما كان عند العرب من أحزاب وشيع، فكان كل منها يلون التاريخ بما يروق له .

لهذا وضع ابن خلدون القاعدة الاولى للمؤرخ، وهي «التجرد التام»، علمياً كان عمله او دينياً او سياسياً. واعقب هذه القاعدة بقاعدة ثانية لا تقل عنها أهمية او خطورة، وهي تتلخص في «التنقيب والتدقيق في الاخبار المروية»، وعدم الاسراع في التصديق لكل ما قاله الرواة والمؤرخون: فيجب على المؤرخ ان يتناول الرواة بالتجريح واخبارهم بالتعديل، وان يبحث عن اخلاقهم وثقة الناس بهم، والا يمنحهم ثقته الا بعد اليقين التام. هذا وقد اشار ابن خلدون الى ان الخبر الذي يرويه خمسة رواة خير من الخبر الذي يذكره مؤرخ واحد او اثنان .

اما اهم اسباب الخطأ في التاريخ فهو عند ابن خلدون «الجهل بطبائع الاجتماع او العمران» على حد تعبيره. فقد كان كثير من الرواة ينقلون الخبر من غير ان ينظروا فيه، ليتأكدوا مما اذا كان يتفق وطبائع العمران البشري او لا يتفق. فوصلت الينا من جراء ذلك كثير من الاخبار التي لا تتفق مع المعقول: من ذلك قول بعض الرواة بضخامة أجساد الاقدمين وبلوغها أضعاف حجم اجسادنا، مع اننا نرى أبنيتهم وابوابها شاهدة على مماثلتهم لنا في الكبر الجثماني، ومن ذلك أيضاً قصة «إرم ذات العماد» التي اولها الناس تأويلات مختلفة غريبة .

يحسن بنا الآن ان نلاحظ ما بين هذه القواعد التاريخية وبين ما جاء به فولتير في القرن الثامن عشر من تقارب وتشابه. فان طريقة فولتير تكاد تكون طريقة ابن خلدون ذاتها، اذ تحرى فولتير فيما تحراه في نقده «صحة الاخبار» و«الثقة بالمخبرين» وما الى ذلك .

بل ان ابن خلدون وضع قانوناً عاماً في علم التاريخ وهو ضرورة تلافي اقتصار هذا العلم على الاخبار السياسية والحربية، كما كان الحال الى ايامه، ووجوب تعميمه وشموله لجميع الحالات في الامة، من أدبية وسياسية واقتصادية واجتماعية ودينية. وفي القرن الثامن عشر برز فولتير وقال بهذا المبدأ وطبقه في كتبه، فاعتبره الناس اول من ابتكره ونادى به.. وذلك لا لشيء سوى ان ابن خلدون كان مجهولاً لديهم !.

لم يكتف ابن خلدون بجعل التاريخ «علماً توضيحياً»، يقتصر على الرواية والوصف، وبحث الاخبار بل اراد ايضاً ان يتناول هذا العلم «الشرح والتعليل»، فوضع ثلاثة قوانين للمؤرخ: وهي كما يقول ضرورية لفهم التاريخ. اما القانون الاول فهو «قانون العلّية» او السببية الذي مداره ربط المسبّبات بأسبابها، فبفضله يتسلسل البحث التاريخي حتى يصل الى الاسباب الاولية التي نعتمد عليها في فهم الحاضر، والتنبؤ عن المستقبل، وهكذا نرى بعد ابن خلدون العلامة الفرنسي «مونتيسكو» يطبق هذا المبدأ، ويعطيه اهمية كبيرة في ابحاثه التاريخية، او على الاصح، في ابحاثه الخاصة بفلسفة التاريخ، كما في كتابه «روح القوانين».

اما القانون الثاني فهو قانون التشابه في المجتمعات البشرية، اذ يشبه ابن خلدون الهيئة الاجتماعية بالفرد من حيث الطبائع والتطور والنمو الفيزيولوجي: فالامة في نظره مثل الفرد في اكتساب الاخلاق والعادات وفي حياتها البيولوجية — ان صح هذا التعبير — اذ هي تنشأ وتنمو وتزدهر ثم تهرم وتضمحل وتزول .

وقد نما هذا الرأي من بعد ابن خلدون وتبلور في القرن الثامن عشر، فاتخذ شكل نظرية اجتماعية عرفت حينئذ بنظرية الفـرد أي (L'Organicisme) ، ولعبت في أوروبة دوراً بالغاً في الاهمية فقد عقد كل من « آدم سمث » « وسبنسر » مقـارنات مفصلة بين تكوين المجتمع وتكوين الفرد من حيث وظائف الاعضاء بنوع خاص وكيفية عملها ، كما ان « غبريال تارد » انتهى على اثر هذه المقارنات الى القول ببناء علم الاجتماع الذي يدرس وعي الجماعة ، على اسس علم النفس الفردي الذي يبحث في الوعي النفسي الخاص بالفرد ، باعتبار ان الفرد ليس الا خلية من خلايا المجتمع ، وكانت صلة الوصل في نظر « تارد » بين علم الاجتماع وعلم النفس تلك الظاهرة النفسية الاولية التي بالغ في أهميتها ، ولكننا لا نتعرض هنا لنقدها بالتفصيل ، وهي ظاهرة الاقتداء او التقليد .

وهذه الظاهرة بالذات، هي محور القانون الثالث الذي اكتشفه ابن خلدون . فقد قال ان الامم جميعاً مبنية في اخلاقها وعاداتها على نظام التقليد . وهذا النظام على حد رأيه ذو اوجه ثلاثة : فاما ان يكون تقليد الرعية للحاكم ، واما ان يكون تقليد الغالب للمغلوب ، واما ان يكون تقليد المغلوب للغالب . اما الرعية فتمتهد حاكمها الرجل الكامل لما أحرز من قوة ونصر ، ولذلك تقتدي به من اجل ان تبلغ العز الذي بلغه ، واما الغالب فانه يأخذ عن المغلوب بعض عاداته وأخلاقه التي تروق له ، وذلك نتيجة طبيعية للاحتكاك ، كما ان المغلوب يقلد الغالب في اكثر اعماله لاعتقاده فيه الكمال .

ولسنا بحاجة الى تبيان أهمية قانون التقليد ، فقد أثبتها علم الاجتماع الحديث ، ولا سيما العلامة « غبريال تارد» وأتباع مدرسته حين قالوا بخضوع كل من الحادثات الاجتماعية والوقـائع النفسية الفردية لظاهرة التقليد ، — أي (La Sympathie-imitation) — باعتبارها الظـاهرة الابتدائية المشتركة . وبالرغم من ان مذهب غبريال تارد حوى الشيء الكثير من المبالغة التي أبانهـا العلامة « دوركيم » (Durkheim) ، فانه قدم لكل من علم النفس وعلم الاجتماع ذخيرة وافرة من الملاحظات الدقيقة والحقـائق العميقة التي لها قيمتها العلمية .

وهذا هو علم التاريخ كما يراه ابن خلدون . فما صحة نظرة فيلسوفنا هذه ، وما أهميتها بالنسبة الى الثقافة الحديثة ؟ .

اننا نلمس مما تقدم ان ابن خلدون كان يمزج بين التاريخ وعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، وذلك بالرغم من انه أفرد للاجتماع باباً خاصاً مستقلاً عن التاريخ . وعلم التاريخ كما تقرر حديثاً ، يجب ان يقتصر على « رواية الماضي » ، فيكون عمـل المؤرخ فحص المصادر وتنقيبها ، ثم عرضها في حلة قشيبة واضحة بحيث تعطي القارىء صورة صادقة عن الماضي . غير ان التفسير الذي عمد اليه ابن خلدون ، وتعليل الحوادث ليسا من عمل المؤرخ ، ولكن من عمل « العـالم الاجتماعي » الذي يعرف قوانين المجتمع ، او من عمل « الفيلسوف المؤرخ » الذي يعني بفلسفة التاريخ بحيث يكون عـالماً بقوانين التاريخ . على ان هذا لا يمنع المؤرخ من ان يكون عالماً اجتماعياً وفيلسوفاً في وقت واحد ، فيعلل الحوادث ويبين أسبابها بعد سردها : وكل ما هنالك انه عندما يقوم بهذه المهمة ، لا يقوم بها بوصفه مؤرخاً ، ولكن بوصفه عالم اجتماع (Sociologue) او فيلسوفاً ، حسب نظرته الى الحوادث .

يتبين لنا من هذا ، ان ابن خلدون لم يكن في تأريخه مؤرخاً فقط ، ولكنه جمع بين الصفات الثلاث التي تقدم ذكرها . والمأخذ الذي نستطيع ان نتبينه في كتابات ابن خلدون ، هو انه لم يقم فيها حواجز بين ابحاثه حسب انواعها وسماتها العلمية ، كأن يفرد لتعليل الحوادث الاجتماعية مثلاً ، باباً خاصاً يتعلق بعلم الاجتماع . غير ان هذا المأخذ يجد ما يشفع به في الزمن الذي عاش فيه ابن خلدون ، اذ كان علم الاجتماع لدى ابن خلدون مـا يزال وليداً في مهده ، وكذلك قل عن فلسفة التاريخ . وحسبنا ان التاريخ اصبح بعد ابن خلدون علماً معترفاً به، له عرضه ومنهجه ، وذلك ما يميز العلوم.

وأما زعم بعضهم ان واضع طريقة النقد التاريخي هو فولتير، وواضع فلسفة التاريخ هو مونتسكيو، فانه يجد رده فيما جاء به ابن خلدون قبل فولتير ومونتسكيو بقرون. هذا ولا يغرب عن البال ان هذين العالمين اتصلا كثيراً بالثقافة الشرقية ، وألفا كتباً عن الشرق : مما يدل على رجحان تقدير انهما اقتبسا من معين ابن خلدون .

والخلاصة التي نهدف اليها هي ان العمل المجيد الذي قام به ابن خلدون في مجال دراسة التاريخ ، قد رفعه الى مصاف العظماء بين فلاسفة التاريخ . بل هو على وجه التدقيق ، من زمرة العبـاقرة المؤسسين للعلوم والمذاهب الفلسفية : فهو فضلاً عن تأسيسه لعلم الاجتماع ، الذي لم نتعرض له في هذا البحث ، قد وضع القواعد الاولى للنقد التاريخي ، كما وضع الحجر الاساسي الاول لفلسفة التاريخ .

محمد وهبي

انا

●

كأني في زحمة الدنيا
اسيرٌ أنا ، تهالكَ من جراحه
يلفّ بمطرفه الأنيق امانيه العذاب
ويعثر في الخطو من اتراحه
كلما ارسل الطرفَ بعيداً
شدَّ على الانين بوشاحه

****

انا كالأسد الجريح ان أرسل الصيحة
ارتعدت فرائص الغاب ، وجلجلت بنواحه
يا لجهل البغاث اذ تحجب عني السفح
وما درت ان الذرى دون طماحي

****

انا لم اشكُ غصَّة المجد
فقد مسحتُ جبينه بجناحي

البير أديب

أدبنا الفليـــني

بقلم عيسى ميخائيل سابا



لكنت أودّ ان اعرض لهذا البحث ، لو لم اقع اثناء مطالعتي الصحف والمجلات على شيء من ذلك الشعر الذي ينعتونه بالجديد ، وشيء من تلك النظرات الخاطئة التي يرسلها نفر من المتأدبين اعتباطاً على الصفحات زاعمين أنهم يكتبون في الادب ويطلقون على انفسهم لقب المجددين ؛ ومن تحرى اقوالهم وسبر غور ما يكتبون يجد ما يضحك ويبعث على الاسف ، فاقل ما يقال فيه انه ادب فليني فائش لا يقوى على الصمود ولا يضمن له البقاء ، ولا يمكن ان يتخذ اساً ليشاد عليه ادب حديث يمثل العصر بنواحيه الا ناحية نقص المعرفة والتضلع من العلوم العربية ومشاركات في الادب الاجنبي .

يزعم البعض ان الشعر موسيقي يتناول الالفاظ دون المعنى ، ويكفي ان تكون الكلمة رشيقة خفيفة سواء ادت المعنى ام لم تؤد ، وعندهم ان جمال الصوت ونبراته والجرس يلبسها الحلة اللائقة بها وينزلها منزلة ما يسمونه شعراً ينكبون به الادب ، وقد فاتهم ان الشعر وان شارك الموسيقى في بعض نواحيها فهو مقيد بالمعنى الذي يشارك فيه العقل لاستكمال اللذة ، والموسيقى ما كانت يوماً شعراً على اطلاق المعنى وان تكون ، فهو — اي الشعر — مشارك لها باللحن والاطراب وهي — اي الموسيقى — لا تشاركه بالمعنى ، وكم من ابيات تستوعبها لمعناها ومبناها وترقص لها طرباً وانت بعيد عن لحنها الموسيقي وذلك بيّنٌ ظاهر لان لذة الموسيقى تتناول الاذن والنفس وهما يطربان باللحن وحسن التواقيع المرقصة فتسكر وتنخطف الروح الى ملأ تحسه احساساً روحياً ، لا تقدر ان تعبر عنه بكلمات ، فالموسيقى روح والروح لا تلمس باليد ولا يجري عليها التصوير ، فجمالها الحان وقعتها نفوس موهوبة اعطيت هبات تظهرها اصواتاً ويتعذر عليها ان تظهرها كلمات ، بعكس الشاعر الذي اعطي ان يجمع بين الصفتين اللحن والمعنى ، والشعر الحقيقي الخالد ان عري عن صفة من هاتين الصفتين كان صوتاً يضمحل في تموجات الهواء .

قلنا ان الشعر يشارك الموسيقي لانه لفظ يعذب في الاذن سماعه وتطرب له النفس ويسوغ معناه العقل ، فهو غير مقتصر على اللحن فحسب ، لان المشاعر كلها تشترك باستساغته ، فتأخذ كل شاعرة ما يناسبها ومن مجموعها يتذوق جمال القول واللحن ، فشاعرة العقل تتطلب المعنى وشاعرة السمع تتطلب الجرس وشاعرة الحس تتطلب الكلمة اللينة البينة العذبة وهي تقع في النفس موقع الخمرة الدابة في الاعصاب فتخدرها وتستوحي النفس نشوتها ، وعمل اللحن في الشعر كما يقول ابو الوليد بن رشد في تلخيص كتاب ارسطاطاليس هو « انه يعدّ النفس لقبول خيال الشيء الذي يقصد تخيله ، فكأن اللحن هو الذي يفيد النفس الاستعداد الذي به يقبل التشبيه والمحاكاة للشيء المقصود تشبيهه[1] » .

وليس كل ما يرد على القريحة يجب ان يقال ، فقد يكون

---

(١) كتاب علم الادب مقالات لمشاهير العرب ج ٢ ص ٢٥٦ مطبعة اليسوعيين بيروت .

الشاعر في خلوة يردد كلمات يطرب لها ويرى فيها جمالا اوحت به وحشة المكان ، ولكن بعد ان يجري تلك الكلمات على محك العقل يرى ألا معنى لها ، ولامر ما قيل لبشار بن برد : بم فقت اهل عصرك وسبقت اهل عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب الفاظه ؟ قال : « لاني لم اقبل كل ما تورده علي قريحتي ويناجيني به طبعي ويبعثه فكري(٢) » وكأنه عرف ان الصوت الواحد والمنظر الواحد لا يؤثر في السامعين والناظرين اثراً واحداً « وليست الحواس وحدها تكفي في ادراك الجمال بل لابد معها من العقل ، فالحواس وحدها تستطيع ان تدرك الحركات والاشكال والاصوات والالوان على انفرادها ، ولكن لا بد معها من الفكر والشعور ليربطا بعضها ببعض ويكونا مجموعة واحدة متناسقة الاجزاء ، وبهذا ايضاً يختلف الانسان عن الحيوان ، فالحيوان يستطيع ان يدرك الوان صورة ذات الوان كصورة العذراء لروفائيل ويسمع الشعر ولكن لا يدرك ما يدل عليه ذلك من عشق ولا يشعر بما يمثل من عواطف(٣) » .

وهذا ما يؤيد ما ذهبنا اليه من ان الشعر لكي يكون شعراً حياً يجب ان يكون فيه لجميع الشواعر الانسانية مشاركة وقد تنبه الى ذلك علماء الشعر في العصر العباسي ، فهذا قدامة بن جعفر يقول لنا « لما كان اكثر وصف الشعراء انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعاني، كان احسنهم من اتى في شعره باكثر المعاني(٤) » .

ولقد اعطي الشاعر صفة لم تعط لغيره فهو الامير المتصرف ببيانه والغائص على المعاني الجليلة وقديماً قال الخليل بن احمد : « الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاءوا وجائز لهم فيه ما لايجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده(٥) » فأنت ترى ان الشاعر لم يطلق له الكلام اطلاقاً دون تقييد في المعنى وأن كلمة اللاوعي كلمة يفهمها البعض على غير حقيقتها فهذه قصائد ابن القارض امام الرمزيين واللاوعي ، ألم يعطنا المطرب الجيد من الشعر ؟ اما كان يخطف متجرداً عن المادة ويعود اليها وملء فمه قصائد فيها كل جميل حسن سواء فيها نعت اللفظ ونعت المعنى ، اما اذا كان المراد من كلمة « اللاوعي » الهذيان فيكون كل محموم شاعراً وكل مجنون شاعراً ويا لخيبة الشعر عندئذ ويا للادب الحقيقي من ادب العصر الفليني .

وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ قول جيد « المطبوعون على الشعر هم الذين تأتيهم المعاني سهلاً ورهواً وتنثال عليهم الالفاظ انثيالاً » .

ومن الادباء من يقول وحجته ان الشاعر كالمصور الذي يقدم لك خطوطاً رمزية تريك الجمال ولا تدركه ، قلنا انهم على حق في ما يذهبون اليه ولكن هل الخطوط التي يرسمها المصور البارع خارجة عن حد اصول الفن المقررة ؟ او تراه جردك من العقل بخطوطه وقصر فنه على ناحية نفسية واحدة ؟ ألم يصرفك بما رسم قلمه الى تداعي صور رجعت بك القهقرى الى الماضي حيث تربط ماشاهدت قبلاً بما حضرك وانت امام لوحته .

وهذا الرمز الذي يطبّل له البعض ويزمّر ، أليس فيه معنى يدركه العقل ؟ أهو مجرد الوان فقط وقديماً قال الامام الماوردي « وربما استعمل الرمز من الكلام في ما يراد تفخيمه من المعاني وتعظيمه من الالفاظ ليكون احلى في القلوب موقعاً واجل في النفوس موضعاً فيصير بالرمز سائراً في الصحف مخلداً(٦) » وعندي ان الشعر الجيد هو الذي يخاطب العقل والنفس معاً ولا خير في شعر له نوطة تتناول النفس دون العقل والجيد الجيد هو الذي يجمع بين العقل والنفس وجماع الوصف لذلك كما يقول قدامه « ان يكون المعنى مواجهاً للغرض المقصود غير عادل عن الامر المطلوب(٧) » .

وجملة القول ان الشعر معنى ومبنى سواء منه الرمزي والغنائي المطلق والمقيد والمقتصر على صفة واحدة لا يتناول غيرها يبين فيه النقص ويخرج عن حد الكمال المقرر ويكون مثله مثل تمثال عليه من الحلى والالبسة ما لا يستقيم مع الذوق والعقل ، يبهرك الشكل وتفوتك الروح ، والمادة بلا روح باطلة والروح وحدها لا تدركها المادة ولا تفهمها على وجهها الصحيح « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي » .

عيسى ميخائيل سابا

---

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٦٢ .

(٣) مبادئ الفلسفة ا . س رابوبورت ترجمة احمد امين الطبعة الثالثة ص ٣٨ مطبعة دار الكتب المصرية .

(٤) نقد الشعر ص ٧٠ المطبعة المليجية مصر .

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف ص ٦٠ الطبعة الثالثة مطبعة المعاهد مصر .

(٦) ادب الدنيا والدين ص ٣٨ المطبعة الاميرية في القاهرة الطبعة الثالثة عشرة .

(٧) نقد الشعر ص ٣٥ .

أنا والكأس

يا ندامى ، من لكأس ظمئت بين اكواب الشراب الطيّب؟
ظمأ في الكأس لم يدر به أحد غير فمي الملتهب
كبح البؤس غرامي ، ورمى كبدي بالفائر المصطخب
أرشف الكأس لاروى ، فاذا هي تشتف بقايا عنبي
أينا أحظى بمن يشتفه أنا بالكاس ام الكاسات بي؟
انا ارويها ! وما عنديْ سوى جرعات ، في دمي ، لم تسكب
ُعتقت ، منذ سرى فيّ الصبي لهبا ، يسري بدنيا لهب
لم أجد أكرم منها خمرة لم تنم عن مهجتي ، او تنضب
عصفت في العرق ، ريحاً صرصراً واضاءت كوكباً في غيهب
لم تزل ترغي فيرغي عطشي ثم تسمو بي ، فيسمو مطلبي

***

يا ندامای أديروا كأسكم فرغت كأسي ، ولما أشرب
قطعوا اوتاركم من طرب انا لا اعرف رؤيا الطرب
ضمخوا بالحب افراحكم يُصحُ تذكار مناي الغيّب
ودعوني اسفح الوجد على كأسكم دماً خضيب الحبب
يا ندامای ، اديروا بينكم أكؤسا ، ريّا الهوى لم تغرب
يتراءى العيش في أطيافها زهو مفتون ، واشراق نبي .
هذه كأسي لا تحلو على شفة مرت بصاب النوب
انها خاوية الجوف ، سوى قطرات شعشعت من نصبي
أنا لا املأْ كأسي ، طالما لم تضىء اعراسها في ملعبي
انا ارثي لأساها ؛ وهي لم ترث لي في مأتمي المضطرب
عبثاً تشربني ، فوق فمي وسدى أعصرها او أجتبي
هل رأيتم ، يا ندامى ، قبلنا متعباً ، يُسقى الهوى من متعب؟
انا مفجوع بكأسي ، ابداً أقطع العمر لهيفاً ، وهي بي

***

يا ندامى ، عربدوا من نشوة لم تتح أحلامها للشهب
طلعت صهباؤها في كاسكم كطلوع الشمس ، بين السحب
هذه الكاس على أيديكم أرب الدنيا ودنيا الارب
ان كاسي ، يا ندامى ، أطفئت قبل ان تأتي رياح المغرب
جرحها الظمآن ، هل أحمله ؟ وجراحي النجل توهي منكبي
فكلانا حامل ، من نفسه جدولاً يحبو بقفر مجدب
اي كاس ، أنبت القيظ لها مخلباً يرمي دمي بالوصب؟
جائع الشهوة ، صخاب اللظى ويح لي من حد هذا المخلب
انا ان مرغتها في مرشفي لا ارجّيها لتطفي كربي
انما اذكر في صحرائها شقوتي بالظمأ المحتسب

***

يا ندامای ، أعيروني يداً أحطم الكأس التي لم تخصب
انا مسفوك على بيدائها حلماً ضل السرى ، لم يؤب
ربط اليأس المعنّى بيننا في دجى الحب ، بأقوى سبب
انها وهمي ، فهل أجحدها ؟ عبثاً اجحد فيها مذهبي
لا واشواقي ، لن احطمها وبصدري حرق لم توهب

حمص — نذير الحامي

أنت

ان تكن هذه الحياة أغاريد فأنت الغنا ، وانت القداح
او تكن روضة فأنت سناها وشذاها المعطر الفواح
او تكن غفوة فأنت بها الحلم المناجى وطيفه الممراح
او تكن بسمة فمنك ومن ثغرك ينهال نورها اللماح
ان يكن ثمت النعيم فما في غير دنياك – يا فتاتي – يتاح

***

أنت في كوني الصغير ملاك قدسي تعنو له الارواح
هبط الارض تحتذيه الصبابات ويحدوه غبطة ومراح
فاذا الكون هالة من ضياء شع فيها جبينه الوضاح
هبط الارض كالربيع عليه من نسيج الصبا النضير وشاح
هبط الارض يسكب السحر جفناه وفي راحتيه زهر وراح
هبط الارض من منابره العليا فهشت له الربى والبطاح
وتلقاه موكب النور مسحوراً ، وحياه – حين حل – الصباح

***

انت في كوني الصغير حياة افعمتها الاحلام والافراح
انت فيه السنا الذي يقبس اللمحة منه الامساء والاصباح
انت فيه الشباب تخطر في الدنيا ، احاطت بركبه الاوضاح
انت فيه الحب الذي يتزل القلب فيرويه فيضه السحاح
انت فيه النشيد رتله الحب ، وغناه نايه الصداح

انت فيه المنى، وحلم الليالي والهوى الصرف، والغرام الصراح
انت فيه . . ماشئت . . انت لجفني – اذا غرّب السنا – المصباح

تونس — احمد اللغماني



أفق

أقبلي ، يا غيوم بالاسود الحالم ، يطوي ، بجانحيه ، نهاري
ويلف الاضواء ، بالساعد السمح ، فتلوي ، في رعشة ، واصفرار
أقبلي ،اقبلي ، أحس انهياراً . . في السحيق العميق ، من اغواري
باكرتني الهموم ، فانتثر الحلم ، وأغفى الربيع ، في آذاري
وشجا خاطري ، اكتئاب العشيات ، وتيهي ، في ليلها ، وانحداري .
واختلاج الطريق ، مر بها الشعر ، ، غريب الخطى ، بعيد الدار
والتفات الاسحار ، المتعب الساري ، وهمس الازهار ، للازهار
اي دنيا ؟ تنهدّ ، في زحمة الضوء ؟ ، واي ارتقاء ؟ وانكسار ؟
اجفلت ، دوني ، الظلال ، فأجفلت ، وجرّحت ، دونها ، : انظاري
عبثاً أسفح النداء . . واستشرف ، يا ريح ، افقها المتواري ! !

حمص — عبد السلام عيون السود

الغسق

خلّي الكؤوس تجف من ظمأ ... والاغنيات تموت في الأثر . .
اني احس نذير عاصفة . . ... وأكاد اسمع أيها خبر
الضفة الغناء ذاهلة . . ... مذعورة الارياح والشجر
والربوة العذراء واجمة . . ... عجبى . . تكاد تغور من حذر
ومرنح الافياء يذبل في ... ساج من الغدران معتكر
والافق مطويّ على لهب ... فكأنما هو محجر القدر . .
ما للوجود ؟ كأنما عهدت ... تدعوه نازعة الى سفر ؟
فعلى فجاج الارض غاشية ... وعلى السماء وجوم محتضر ؟!
خلي الكؤوس تجف من ظمأ . ... يا قصة الاشواق . . وانتحري .
النور مقتول ، ومأتمه ... خفق الضمير ، وزوغة البصر !
والظلمة السكرى معالمها ... هول الطريق ، وضيعة الاثر !
هي قصتي ! أمسيت أقرؤها ... في كل ملموح من الصور

فاضت ففاضت كل ضاحية ... وذوى الربيع بكل مزدهر !

بغداد — محمود البريكان

قش وطين

اذا ماج في ناظريّ الحنين ... ولاح الهوى في ارتعاش الجفون
وأطبقت ثغري على آهة ... تند عن القلب اذ تقبلين
فلا تحسبي يا ابنة الذكريات ... هواك يثير الذي تبصرين !
هو الامس ينعس في مقلتيك ... فيغرق دنياهما بالفتون
ويوقظ ، في القلب ، بقيا رؤى ... تحوم على جرح ماض دفين
ويغفو الزمان ، وأغفو ، فتبدين حلماً نقياً ولكن . . لحين !
دعي عنك هذا الغرور المهين ... لقد جف في القلب فيض الحنين
فلن تلمحي ، بعد ، ظل الهوان ... بعينيّ ان لمحتك العيون !
غرامك ؟ . . يا لافتراء الزمان ! ... أكان سوى بارق من جنون ؟
محياك ما عاد حبي الغرير ... يحوك على وجنتيه الظنون .
لقد كان ليل ! وكان الخداع ! ... وكنت هديّة دهر ضنين !
ولما اتى الصبح . . واخجلتاه ! ... وجدتك . . دمية قش وطين !!

بغداد — رشيد ياسين

صدى الحرمان

تعالي تري امسيات المحبين تحلم في الشفق الاحمر
كأن على ومضات الاصيل ... بقايا دم العاشق المهدر
اذا مر من حولها بلبلان ... حسبت ابتهال غرامي اليعي
تعالي تري خفقات الطبيعة تنساب في الشفق النير
تباركت عذراء اي الملائك يحلم في جفنك الاحور
فثمة يندى مساء المحبين ... خمرا ويخضر روض وعود
ويلعب في ظل عينيك طير ... ويندى اقاح وتلهو ورود
تعالي اذا ما المساء الرهيب ... طغى بي فالروض كاس وعود
ارى عمق عينيك تهراق فيها ... دماء وتفتر فيها خدود
ويعتنق الورد والياسمين ... وينداح فيها صباح وَرُود

البحرين — ناصر ابو حميد



الحياة السياسية

للاستاذ عبد المجيد نافع –٢٦٨صفحة –دار النشر للجامعات المصرية–القاهرة

« البوليتيقا » او علم السياسة علم متسع الاطراف ، مترامي الآفاق ، اكتسب على مر الايام وكر سني التاريخ الواناً من التطور ودخلت عليه مذاهب ومدارس وفلسفات بدلته تبديلاً، وجعلت منه اليوم علماً معزز الجانب ، مدعم الصروح ، يستند الى اسس من التجريب والاختبار ، عدا القواعد النظرية والمبادىء المتفق عليها .

ولم اعرف كتاباً باللغة العربية تابع نهضة علم السياسة ثم استخلص منها ما يوائم العصر في كل مصر سوى كتاب « الحياة السياسية » وقد الفه المحامي المصري الاستاذ عبد المجيد ، فجاء كتاباً جديداً فريداً .

ولا غرو ، فالاستاذ عبد المجيد نافع محام يتقدم الصفوف ، وأديب يلتهم المؤلفات ابداً ، وعالم ذو نظريات تتسم بالتحرر الفكري والثورة على التقاليد ، وكاتب ممكّن القلم ، يجيد انتقاء كلماته ، ويتخير عباراته واساوبه عن فطنة ، ويعرف كيف يستطيع ان يختلس من القارىء وعيه فيكرهه على نسيان نفسه اذا ما شرع في تلاوة مصنف مما يخرجه يراع الاستاذ نافع . وقد بدت جميع هذه المواهب جلية وضاءة في كتابه آنف الذكر ، الذي لا اشك في انه يستطيع مزاحمة كتب الغرب السالكة دربه اذا اوتي من ينقله الى لغة اجنبية نقلاً لا يشوبه قصور ولا يأتيه نقص .

ولم يعن الاستاذ نافع بالكتابة عن « علم السياسة » قدر عنايته بالبحث في « الحياة السياسية » ، وبين الامرين ما بين النظري والعملي . فعلم السياسة يتناول الهيكل العظمي والقوائم المظهرية ، اما الحياة السياسية فهي اللحم الذي يجعل من هذا الهيكل المتداعي كياناً ناهضاً ، ومن هذه القوائم المظهرية بناء شامخاً ، ذلك بأنه لم يتحدث عن كيفية الانتخاب لعضوية البرلمان مثلاً ، بل تحدث عن الانتخاب نفسه من حيث كونه سانحة المناورات الخداعة وبذل الوعود الكاذبة ، ولانسياق الناخبين لا الى انتخاب المشرّع الممتاز ، بل الى اختيار الرجل الحزبي حتى وان افتقر الى الصفات التي تؤهله للنيابة عن شعبه .

والمنحى العلمي الصادق ، هو الحلة البارزة في كتاب « الحياة السياسية » . فلم يحاول الاستاذ نافع ان يتحدث عن الاشخاص ، بل انصرف الى الحديث عن تصرفات هؤلاء المشتغلين بالسياسة ، وعن العوامل التي تتحكم في توجيههم وفي تسييرهم . وهذا ما يجعل الكتاب منبسط الافق ، مرسل المجال ، تستقى امثلته من مصر آناً ، ومن فرنسا آناً آخر ، ومن بريطانيا وسواها بعد ذلك ، ليستطاع من جماع ما ابداه من آراء ونظريات ، ومن جملة ما اورده من امثلة وتجريب ، ان تبلغ البلاد بحياتها السياسية مرتبة نضج مشهور ، يهيىء للشعب ان ينعم في « مدينة فاضلة » .

ولا معدى للذي يعرض لكتاب الاستاذ عبد المجيد نافع عن ان يومىء باعجاب الى التعبيرات البليغة الطريفة التي ضمنها سفره ، اما معزوة الى قائليها من الاعلام ، او مبتدعة من خياله الخصيب فهو يقول مثلاً : ان في طاقة كل حزبي ان يصبح وزيراً ما دام همّ رئيس الحزب يتجه الى انشاء « تشكيلة وزارية » ! .

ويقول كذلك انه : غداً في طاقة المرء ان يتسنم منصب وزير المعارف مثلاً ، فذاك أيسر له من ان يكون معيداً في كلية جامعية .

ويقول : ان بعض الصحف لا يعنى الا بنشر صور نجوم السينما والملاكمين والسفاحين والوزراء ! .

ويقول : ان بين القديسين وقطاع الطرق قوماً صالحين للصحافة .

وفي كل عبارة من عباراته تصدم القارىء وتبدهه مفاجأة غير متوقعة ، ولكنها مفاجأة تبدي الايام صدقها وتبين احداث السياسة نماذج شتى على وقوعها في كل يوم .

ويتصف كتاب الاستاذ نافع بأنه استرسال لا يدعو الى سأم ، والملم لا يكرر معه الكاتب نفسه او عباراته أو افكاره ، وبلاغة بيانية تفصح عن غنى في الثروة الادبية واللفظية وقدرة على معالجة كل موضوع من جميع نواحيه ، فلا يغفل منه جانب او يترك شطر منه غير شاف .

وفي الختام اسجل ان كتاب « الحياة السياسية » للاستاذ عبد المجيد نافع كتاب لا يصح ان تخلو منه مكتبة لسياسي او لاديب ،

لأنه سفر نفيس حقاً ، فيه امارات جلية على الجرأة وأدلة قاطعة على نضج الذهن الذي اوحى بتدوينه . وهو كتاب كان يمكن ان يثير ضجة من الاستحسان والتقدير ، وينشىء سجالاً من المناقشة والمجادلة لو انه نشر في بلد غير شرقي .

القاهرة ودبع فلسطين

١ ــ الحان الحان

تأليف الاستاذ عبد الرحمن صدقي – ٤٢٠ صفحة – دار المعارف بمصر

. . . وهذا سبيل جديد من سبل تيسير الدراسات الادبية واحياء الآثار القديمة ، نحا المؤلف فيه منحى العرض القصصي والتحليل النقدي باسلوب رشيق وتصوير فني ممتع لاحداث هذه الآثار ومعانيها .

ولقد تناول المؤلف في هذا الكتاب « خمريات » الحسن بن هـاني – شاعر الخمرة الاول عند العرب – بالبحث والدراسة ، فاستقى منها فصولاً ضافية عن جانب من جوانب الحياة في العصر العباسي وعن حياة قائلها ابي نواس والميزات والخصائص التي عرف بها في شعره .

ولعل المؤلف شاء ان يختار من شعر ابي نواس قسم الخمريات وحده لانه الناحية التي تجلت فيها عبقريته الشعرية وانطلقت بها نفسه على سجيتها ، وبرز فيه على غيره من الشعراء ، ولانها تمثل اكثر من غيرها جو العصر الذي قيلت فيه على حقيقته .

ولا تقتصر قيمة « خمريات النواسي » على مكانتها الفنية فحسب بل ان قيمتها التاريخية والادبية بما فيها من تصوير بارع لحيـاة قائلها ولحياة العصر الذي قيلت فيه ، هي الـتي تحمل الباحثين والنقاد على العناية بها وافراد المصنفات القيمة لتحليلها وشرحها كما فعل مؤلف « الحان الحان » .

ولقد ألمّ « الحان الحان » بتصوير المجتمع العباسي وخفايا حياة القصور والخلفاء العباسيين في تلك الفترة من ذلك العصر تصويراً بارعاً دلّ على ما امتازت به من ترف ولهو وبذخ فضلاً عن المكانة التي وصل اليها الشعر والادب والعلم .

كما ان المؤلف وفق في طريقة عرض قصـائد « الخمريات » وتنسيقها حسب تسلسل موضوعاتها وانسجام حوادثها بشكل جعلها وكأنها شريط سينمائي مؤتلف المشاهد او رواية احكم نسج حلقاتها .

وهو يبدأ اولاً بالتحدث عن شخصية الشاعر وعصبة المجان التي كان ابو نواس على رأسها ، وكيف كانت تطرق الحانات ليلاً ، وكيف كان الخمارون يستقبلون افرادهـا ، مع وصف طريف للغارات الليلية واصحابها ومجالس شرابها . ثم ينتقل المؤلف الى وصف الاديرة في ذلك العهد وهي التي كان يغشاها شاعرنا وجماعته لشرب الخمرة ، مع وصف مجمل لحياة الرهبنة وذكر بعض الاديرة المشهورة آنئذ في بلاد العرب ، وبعد ذلك نجد انفسنا مع ابي نواس ، صاحب المزاج الخاص في شرب الخمرة وعلاقة ذلك بالطبيعة والربيع والزهر ومدار الفصول وشهر الصيام .

ثم نتبع ابا نواس في التغني بشرب الخمرة وتأثيرها وحالات صنعها وآلة شرابها وادب الشرب والمنادمة ثم التغزل بالغلمان والجواري وذكر المغنين والمغنيـات الى ان يخلص المؤلف اخيراً الى شرح فلسفة الخمرة عند ابي نواس وما كان يعتريه من نوبات الندم والتوبة .

وكل هذه الفصول والموضوعات استقاهـا المؤلف من خلال شعر ابي نواس في الخمرة الذي اورد منه امثلة عديدة واستشهد بمعظم مقطوعاته .

وان كان للناقد من ملاحظة على هذا الكتاب فهي توسع المؤلف في شرح الابيات الشعرية توسعاً فيه كثير من التطويل لا تدعو اليه الحـاجة ، لا سيا وان شعر ابي نواس – وخاصة في الخمرة – من الشعر السهل الخفيف التركيب والقريب المعـاني . وكان على المؤلف بدلاً من ان يستغرق في الشرح الى هذا الحد ان يعمد الى التعمق في ذكر العوامـل الخفية لطبيعة شعر ابي نواس اللاهية .

وبالاجمال فان « الحان الحان » يشكل مصدراً من مصادر دراسة شعر الحسن بن هاني والجو الذي عاش فيه وقد صيغ باسلوب جديد وبطريقة تحليلية حديثة تستحق التنويه .

٢ ــ ابناء ابي بكر الصديق

تأليف الاستاذ عبد الحميد جودة السحار – ٢٧٣ صفحة – لجنة النشر للجامعيين بمصر .

هذه صفحات من التاريخ الاسلامي صاغها المؤلف بقالب روائي حديث ، بعد ان ادخل عليها عنصر المفاجأة والحوار ، والتحليل فجاءت قريبة الشبه بسلسلة الروايات التاريخية التي اصدرها المرحوم جورجي زيدان . الا ان روايتنا هذه « ابناء ابي بكر الصديق » تختلف عن تلك بأنها لا تقتصر على بطل واحد او عصر واحد او حوادث لمرحلة تاريخية واحدة بل هي عرض عام لحقبة طويلة من التاريخ الاسلامي تبدأ منذ عهد نشر الدعوة الاسلامية وتنتهي

حتى عصر عبد الملك بن مروان . وفيها تحليل تاريخي لحياة ابناء الخليفة الاول ابي بكر الصديق وهم : عبد الرحمن ، وعائشة ، وعبدالله واسماء ، ومحمد ، وكلهم رافق هذه الحقبة من التاريخ الاسلامي واشترك في احداثها و كان له شأن كبير في بعض عهودها .

ومن اهم هذه الاحداث التاريخية التي كان لابناء ابي بكر فيها نصيب : زواج النبي عائشة ، وقيام محمد بن ابي بكر على الخليفة الثالث عثمان وموقعة الجمال بين عائشة وعلي ، وحرب الخوارج ، وما كان بين معاوية والحسن بن علي ، وزواج اسماء بالزبير وقيام عبدالله ابنها بالثورة على عبد الملك بن مروان ومقتله على يد الحجاج .

ولقد سرد المؤلف جميع هذه الاحداث بقالب روائي كما قلت ، ولذا غلبت الصبغة الروائية على بعض الحقائق التاريخية فبعدت قليلاً عن الصواب . ذلك بأن المؤلف عني بناحية كشف الاحقاد بين رجال ذلك العهد الاسلامي الاول اكثر من عنايته بأية ناحية اخرى من النواحي التاريخية .

كما ان الحوار الذي اجراه المؤلف على ألسنة ابطال تلك الحوادث – وهو خيالي – كان ابعد عن الوقائع التاريخية منه الى تحري الصواب ، وقد حمله المؤلف فوق ما يحمل من الكلمات التي يستبعد صدورها عن اصحابها .

هذا ، وفضلا عن قالب الكتاب الروائي فقد كان كل فصل من فصوله مستقلاً عن الآخر ولا تربطه بغيره من الفصول اية صلة . فجاء مفكك العرى غير منسجم الاحداث يضيع القارىء احياناً بين كثرة حوادثها وتشعبها .

وبالاجمال فالكتاب لا بأس به من ناحية السرد الروائي والاسلوب الادبي الرائق الممتاز .

٣ – طريق المجد

للاستاذ ميشال حتوني – ١١٢ صفحة – مطابع صادر ريحاني – بيروت

اودع المؤلف في هذا الكتاب كثيراً من النظريات المثالية والخطرات الاجتماعية في سبيل بناء وطن صالح سعيد . ونحن اذا تمعنا في آراء المؤلف التي ساقها باسلوب خيالي بحت ، لوجدنا ان هذه الآراء ذاتها لا تختلف عن الاسلوب في شيء ، وليس فيها اية ناحية « عملية » مجدية فيما لو روعي تنفيذ ما يقوله المؤلف .

ان نغمة « الاصلاح » باتت على كل فم في لبنان ولا سيما في الآونة الحاضرة ، ولكن القول بالاصلاح وحده لا يكفي بل المهم في طريقة التنفيذ وطريقة عرضها بصورة عملية .

ولقد شاء مؤلف هذا الكتاب ان يتغنى بالمثل العليا ، فاخفق حيث يجب ان ينجح ، اذ ان هذا الضرب من « التغني » لم يعد اليوم ليجد سبيلاً مألوفاً الى نفوس القراء خصوصاً وان المؤلف سلك اسلوباً « جبرانياً » مضى فيه الى ابعد حدود الاغراق في التصور والخيال .

وللدلالة على ذلك اسوق هذه الفقرة من الكتاب وهو كله على نسق واحد :

« ما الحياة الا نبضة مجد ، وخفقة طموح ، ومتعة ضخمة في التضحية ، ونشوة ملهمة في التمرد على الظلام ، انها نسمة في عالم الخلود ، تلاشي القيود ، وتهدم الحواجز والدور ، جاعلة قلوب الامة قلباً واحداً ، ملاشية العنف « بقوة العقيدة » مبددة الخوف بقوة دافقة دافعة من قرارة الروح خالقة الابطال المتبارين في ميادين الجهاد وجليل الاعمال .. الخ .. »

على ان ما يغفر للمؤلف اغراقه في هذا « الخيال » هو ما ينضح به كتابه من غيرة واندفاع وحب للخير في سبيل بلاده . فجاء صرخة في سبيل الحق والمثل العليا عسى ان يتنبه لها اصحاب النفوس المريضة .

٤ – كيف تختار الفتاة زوجها

لتالي ميلاده ترجمة هشام سعيد – ١٥٠ صفحة – مطبعة الاصلاح – حماه

هذه مجموعة نصائح يدل عنوانها على الغاية منها ، وهي نصائح ساقها مؤلف الكتاب على طريقة الاسئلة والاجوبة مع بعض التحليل لخفايا الحياة الزوجية واصول السعادة بين الزوجين .

وهي لو اتبعت كما يجب وتقيد بها الازواج لقلت مشاكلنا الاجتماعية تقريباً . ولكن مؤلفي امثال هذه الكتب يهملون في كثير من الاحيان مراعاة بيئة القارىء وظروفه الخاصة ، مما يجعل التقيد بهذه النصائح ضرباً من المستحيل والصعوبة ، وهذه ناحية اساسية تستحق قبل غيرها الاهتمام والدراسة النفسية العميقة .

اما اسلوب المعرب فهو اسلوب عادي بسيط والكتاب بجملته لا يخلو من فائدة .

اديب مروة

نيران وثلوج

صديقي سهيل .. وصلتني « نيران وثلوج » في بريد الامس (٢١ – ٦ – ١٩٤٨) وفي صباح اليوم أكتب اليك ، او الى « الاديب » عن رأيي في نيرانك وثلوجك .

لقد تعجب .. كيف يقرأ الانسان كتاباً في ليلة ، ثم يبيح لنفسه ان يكتب عنه « رأياً » ! معك حق ، فلا تسمه رأياً ، وانما قل :

انه خواطر سريعة حول هذه المجموعة من الاقاصيص !.

انه ليس من البعيد ان تكون كاتب اقصوصة في مستقبل قريب، لا تعجل بالغضب مني، فانك لتعرف انني لا استطيع ان اجامل في التقدير الادبي !.

وعلى اية حال فهذا شعوري تجاه «نيران وثلوج» اما «اشواق» فلم اقرأها بعد، كان حظي معها سيئاً. كنت متوعكاً لفترة طويلة، ثم صحوت لاشتغل بعنف في كتابي عن «العدالة الاجتماعية في الاسلام».. وقد قرأت «نيران وثلوج» في ليلة، كانت ليلة راحتي بين فصل وفصل في هذا الكتاب المتعب.. وعلى فكرة تستطيع ان تعزو شعوري تجاه كتابك – اذا لم يعجبك – الى انني مكدود الذهن، او الى انني سيء التذوق لادب الخلق والانشاء في فترة انا مستغرق في جو البحث، والتنقيب وبين الكتب الصفر والنهر من مخلفات القرون الهجرية الاولى، فقد لا اصلح بحالتي هذه لقراءة الاقاصيص !.

صادفتني في «نيران وثلوج» اقصوصة واحدة كاملة سليمة، لعلها هي آخر ما يخطر على بالك في مجموعتك. هي... هي «قبلة اليد» !

أكاد اتخيلك مدهوشاً لهذا الاختيار السيء! والا فأين ذهبت عني: «نيران وثلوج» التي بدأت بها مجموعتك، واتخذت عنوانها عنوانا لكتابك؟ وفيها ما ظننته انت مفاجأة عظيمة؟ او اين ذهبت عني «التضحية المشتركة» بما فيها من مثالية رائعة؟ او اين ذهبت عني: «استشهاد» وهي تصور موضوعاً يشغل بال الامة العربية اليوم في شأن فلسطين! او «اصداء» وما فيها من قسوة شعورية حادة تهز المشاعر هزاً عنيفاً.. الخ.

اصارحك يا صديقي انها كلها «مشروعات اقاصيص ناقصة».

يبدو لي انك لا تثق بالحياة في حقيقتها، ولا تؤمن بأنها تصنع «الفن» وهي سائرة بخطاها العادية اليومية. ولهذا تحيد بها عن طريقها، في لين مرة وفي عنف مرة، ويخيل الي احياناً انك تلوي جيد الحياة ليًّا لتسلك الطريق الذي ترسمه انت لها، لا الذي تريد هي ان تسلكه، وانك لو تركتها تسلك طريقها لوفقت الى «فن» اصدق واجمل بكثير من الفن الذي تريده انت.

خذ مثلاً على «المشروعات الناقصة» اقصوصة «اصداء» انها اقصوصة قوية.. ما في ذلك شك. لا اقرر هذا لعنف مشاهدها، ولما فيها من خنق فتاة، وعزم فتى على الانتحار، وهجرة ابوين الى جوار الحرم فراراً من قسوة الحوادث، كلا انما هي قوية تصور موقفاً انسانياً صحيحاً، وشعوراً انسانياً صحيحاً، بغض النظر عن عنف الحوادث او لينها.. فلقد صورت موقف الوالدين من سلوك فتاتها المعوج، وموقف الاخ الشاب الثائر الاعصاب.. ثم صورت موقفها وقد خنق الاخ اخته، وموقفه بعد ارتكاب الحادث، وقلقهم النفسي، وتناقض مشاعرهم وسلوكهم تصويراً جيداً.. نعم ان في الموقف مجالاً لزيادة الابداع. ولكن المستوى الذي وصلت اليه جيد بلا شك.

غير انك يا صديقي نسيت ان الامور لا تجري هكذا في أحد المواقف. لقد يختنق الاخ اخته في هذه الحالة. ولكن اين يذهب بجثتها، فهمت منك انه القى بها في البئر.. جميل! ولكن الا يثير اختفاء فتاة اية ريبة او تساؤل؟ ولا يزيد شيئاً في تعقد الموقف؟.

لقد كان امامك عنصر اهملته في تصوير حرج موقف الفتى بعد فعلته، يدعوه الى الانتحار، هو الهمس الذي يبدأ في محيط الاسرة عن غيبة «عايدة» بعد اختفائها في البئر! هذا اذا لم ترد ان تختار لجثتها مصيراً آخر.. ام لعلك اردت ان تجرد الجو النفسي للفتى القاتل، الا من اصداء فعلته واصداء شقيقته؟ ان الادب الناضج هو الذي يملك تجريد الجو النفسي كما يريد، دون ان يثير مثل هذا السؤال في انفس القراء، ودون ان يتنكب عن جزئيات الحياة اليومية المعتادة في حياة الناس !.

ولكنها اقصوصة اقرب ما تكون الى الكمال.

و«نيران وثلوج». انها اقصوصة لا بأس بها، لولا ما خلعته من اهمية كبيرة على تصرف الفتاة «اولغا» وتصرف الفتى «فريد».. انه تصرف طبيعي جداً، ان يلتقي فتى مزهو اعتاد تهافت الفتيات عليه، بفتاة مزهوة قد اعتادت تهافت الفتيان عليها، فتأخذ كلا منهما الكبرياء. وتقوم بينهما المنافسات والمشاحنات في الظاهر، حتى اذا وقعت الفتاة في ورطة، تقدم الفتى لانقاذها في الفرصة المناسبة، فتلقي بنفسها اليه مستسلمة؟؟ ولو انك سردت الحكاية بدون تعليقات لمرت، ولكن تعليقاتك عليها جعلتنا ننتظر مفارقة عجيبة خارقة، واذا بنا امام حادث طبيعي مرتقب !.

ثم تخطىء خطأ آخر حين تنطق الفتاة في موقفها وحولها رفاقها: «ضمني بذراعيك القويتين الى صدرك العريض يا فريد»!.

مهلاً يا سيدي فللمرأة وسيلة ووسيلة للتعبير عن فتنائها في الرجل القوي غير الالفاظ !.

وخذ كذلك اقصوصة «استشهاد» ان هذا الفتى الذي وصفته يعمل ولا يتكلم، ثم ينخرط في سلك المتطوعين لفلسطين. ان هذا الفتى شخصية صادقة صحيحة، ولكن اما كان يمكن ان

يذهب الى فلسطين قبل ان يضرب اخساه الاكبر هذه « العلقة الساخنة » ؟ كنت دعه يعبر عن انفعاله المكتوم بوسيلة اخرى غير مفتعلة كهذه الوسيلة ، فتكون لك منه اقصوصة كاملة .

و« الصمت المجرم » . لكم حنقت عليك ياصديقي ، وهذا الموضوع البارع يفلت من بين اصابعك ، بعد ان سرت فيه خطوات موفقة رائعة . ان فيك بذرة طيبة جداً ، ولكنك لا تهتدي اليها الا قليلاً .

ان العقدة هنا جميلة : ان يلتقي زهير بعائدة ، فيؤخذ بها ، ويشعر انها شطر حياته ، في نفس اللحظة التي تكون قد خطبت فيها ، ولقد سرت بعد ذلك خطوات في طريق موفق ، حتى فصمت خطبتها وسافرت الى اختها بالعراق فراراً من حرج الموقف . . ولكنك شئت بعد ذلك ان تضيف الى الاقصوصة عقدة جديدة ، بأن يخطب هو ويتزوج ، ثم تحضر عايدة لتخبره بحبها له ! بعد صمت مفتعل طويل ، عقدة واحدة تكفي للاقصوصة ، وقد عجلت بها في اولها . وكان عليك ان تستغلها وحدها الاستغلال الكافي . او ان تستغني عن العقدة الاولى وحسبك العقدة الاخيرة ، وهي وحدها كفيلة بالفاجعة التي تنشقها !

اما « عطر ودم » فدعني بالله اسألك : كيف تحولت نقطتا العطر في الرسالة الى بقعتين من الدم بعدما قتلت صاحبتها ؟ تقول : انك لا تدري . فهل تحسب هذا عذراً كافياً ؟ مثل هذا يصلح للاساطير . اما في اقصوصة همها ان توحي اليّ بأنها واقعة . فشيء لا افهمه يا سيد سهيل !

اما « التضحية المشتركة » و« الحرمان » و« احلام ضائعة » فأهمس في اذنك ان نهاياتها وخط سير الحوادث والمشاعر فيها ، مما لا يناقش هنا ، فهي محاولات وان كان فيها البذرة التي تتراءى في بعض المواقف وتشير الى ان هناك قصاصاً !

« قبلة اليد » هي الاقصوصة الكاملة السليمة ، وان خلت من المفاجآت العنيفة ! بل ربما لانها خلت من المفاجأة العنيفة ! فهكذا تسلك فتاة بدخل الى قلبها شاب ! حينما يقعد التردد او السذاجة او الحذر بهذا الشاب ، عن الحركة المناسبة في اللحظة المناسبة !

انت هنا قصاص بديع . لان أحداً لا يشك في انك صادق . ولانك لم تأت حركة واحدة غير طبيعية ، تكشف لعبتك ، وتوقظ القراء الى انك « تؤلف » أقصوصة ، فكلهم يحسبونك تروي واقعة . . وهذا هو النجاح ! .

ونسيت ان اذكر كذلك « اقوى من الحياة » فهي قريبة الشبه بشقيقتها هذه ، وفيها طعم اقصوصة ناضجة ، ولكنها لا تبلغ مستوى قبلة اليد ، لانها ليست مثلها بساطة عرض ، وهدوء جريان في مجرى الحياة البسيط العميق .

وبعد . فلك كل الحق ان تتهمني كما قلت لك : بأنني لست صالحاً الآن لان اكون ناقداً للاقصوصة . وانا غارق تحت ركام القرون ، وفي غمار الكتب الصفراء والقهوة ! ! ولك تحياتي .

مصر — حلوان **سيد قطب**

العلاقات الاجتماعية في الشرق العربي

ترجمة الاستاذ فريد نجار — ٣٩٠ صفحة — دار الكتاب — بيروت

لا تزال العلوم الاجتماعية في شرقنا العربي في مهدها ، لم يتح لها ما اتيح لسائر العلوم من بحث وتمحيص وتأليف ، ذلك لاننا لا نزال نعتقد الى اليوم ان العلوم الاجتماعية لا ترتكز على اسس ثابتة وليس لها مقياس مضبوط كمقاييس العلوم الطبيعية تصل المقدمات بالنتائج لتؤدي بعد ذلك الى قانون عـام يصح ان يطبق على الظاهرات المشابهة في كل زمان ومكان .

فأحجم لذلك المفكرون عن الخوض في الابحاث التي تلقي ضوءاً ساطعاً على مشاكل الشرق الاجتماعية وما يعتوره من جرائها من انحطاط ادبي وخلقي وثقافي ، ان لم يقوّم بتنا نخاف على شرقنا شر الكارثة .

وقد كانت اولى المحـاولات لتفهم احوال المجتمع العربي في شتى اقطاره هذا الكتاب الذي نعرف به والذي الفه الدكتور ستيوارت ضود احد اساتذة العلوم الاجتماعية في جامعة بيروت الاميركية ونقله الى العربية الاستاذ فريد جبرائيل نجار ، مسدياً الى المجتمع العربي خدمة جليلة بتعريبه لهذا الكتاب الذي جاء في وقت يقف فيه الشرق العربي بتقاليده الراسخة وجهاً لوجه امـام الغرب بعلومه وقواه ! . . فماذا يأخذ العرب عن الغرب ومـاذا ينبذون ؟ بماذا يحتفظون من ثقافتهم واخلاقهم وعاداتهم وماذا يهملون ؟ . . اسئلة كثيرة من نوعها يقف مجتمعنا حائراً امامها ، كشف المؤلف عنها النقاب بصراحة جديرة بالاهتمام وبتحقيق نزيه جعلت منه اولى المحاولات من نوعها في العـالم العربي من ناحيته الاجتماعية واولاها في العالم — ان لم نغال — من ناحيته العلمية ، اذ كان فتحاً جديداً وخطوة عملية جعلت هذا العلم كبقية العلوم الطبيعية قائماً على اسس علمية تمكن المشتغل بها فيما بعد من استخدام طريقة الملاحظة والقياس والتحقق كما يفعل علماء الطبيعة . .

هذا وقد جاء الكتاب في سرده ممتعاً ، في لغة سليمة واخراج انيق يستحق مترجمه على هذا العمل كل تقدير وتشجيع .

« مصطفى »



حاجات الثقافة العربية

بقلم يوسف اسعد داغر
احد امناء دار الكتب الوطنية اللبنانية

☆

ترك لنا السلف الكريم ثروة ضخمة من الآثار الفكرية تسرب قدر كبير منها الى الغرب، فصين في خزائنه العامة بعناية وحرص وعلم . وتولى التعريف به فهارس وادلة علمية اتينا على وصفها ، نقداً وتحليلاً ، في كتابنا : « فهارس المكتبة العربية في الخافقين » .

اما ما بقي من هذه الثروة الماتعة في الشرق فبعضه مصون في خزائننا العامة أو الخاصة يقوم بالتعريف به بعض الادلة العلمية وقد اثبتنا معظمها في كتابنا المذكور .

الا انه لا يزال يوجد في حيازة بعض الخزائن الخاصة او بعض الافراد عدد كبير من المخطوطات العربية ، لا يعرف عنها الملأ العلمي شيئاً يذكر ، وهذا القدر عرضة للتلف والضياع والتسرب الى الغرب .

وشعوراً بهذه الحاجة الملحة الى التعريف بهذه المخطوطات العربية المجهولة وصيانة لها وضعت اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية مشروع انشاء معهد لاحياء المخطوطات حيث يجري العمل في سبيل تصوير المخطوطات العربية القيمة وجمعها في هذا المعهد .

فمع التنويه بهذه العناية المشكورة فاننا نقترح اتمام وسائل الصيانة هذه بوسيلة اساسية اخرى وهو العمل على وضع تشريع موحد مشترك بين بلدان الدول العربية يقضي على كل مالك او حائز على مخطوط ما بوجوب تسجيله اجبارياً ، تحت طائلة المصادرة ، باوصافه العلمية في دور الكتب الاهلية (دائرة المخطوطات) .

***

من مخلفات تراثنا الفكري والادبي محفوظاتنا الشرقية . فهي اساس اولي لكل تاريخ علمي مؤيد بالادلة والشواهد . وقد بينا اهمية هذه الوثائق وضرورة انشاء ودائع رسمية لها تصان فيها ، وذلك في مقالين متتابعين عقدناهما في مجلة الاديب في عدديها الصادرين في شباط وآذار ١٩٤٧ ، كما اننا توسعنا في الافاضة بهذا الموضوع بكتابنا « فهارس المكتبة العربية » ص ١٣٣ فما بعد . وقد بينا قيمة هذه الوثائق واهميتها من الوجهة التاريخية .

وقد خرجنا من بحثنا ودرسنا هذا باقتراحات هامة .

لفت نظر المسؤولين في كل من البلدان العربية الى وجوب العناية بمحفوظاتنا التاريخية وتصنيف ودائعها علمياً وفنياً .

اقتراح على الدول العربية ايجاد مثل هذه الودائع في كل من البلدان التي لا يقوم فيها للآن دور للمحفوظات الرسمية .

ايفاد بعثة علمية من ذوي الاختصاص تقوم بنقل او نسخ او تصوير ما تراه حرياً بالحفظ باعتباره عنصراً هاماً من عناصر تاريخنا القومي او الديني .

ايجاد ملحقين ثقافيين في المتمديات العربية في الخارج يعهد اليهم الاهتمام بتظهير المحفوظات والمستندات والوثائق التي تتعلق بتاريخ كل من بلادنا العربية ، وارسال نسخ منها الى دور الكتب الاهلية او دور المحفوظات القائمة في بلادهم .

***

عني المستشرقون في الغرب بالاهتمام بمدنيات الشرق الغابرة وتظهير مخلفاته الفكرية والثقافية والفنية . ومن مآثر عنايتهم احياء الكثير من تراثنا الادبي القديم بصورة علمية مخدومة . فيجب تأمين اصدار ثبوت وادلة علمية تستجمع الاصول البيبليوغرافية بالكتب العربية التي احياها المستشرقون عامة والمستعربون منهم خاصة .

***

لعلم الكتب او « البيبليوغرافيا » اليوم شأن واي شأن . فقد

* ملخص التقرير الذي قدم الى المؤتمر الثقافي العربي عن طريق لجنة الثقافة في جامعة الدول العربية .

بلغ من خطره انه اصبح اساساً ركيناً لكل بحث علمي رصين . فقامت في الغرب جمعيات علمية ومؤسسات ادبية وثقافية ينصرف اعضاؤها ، ومعظمهم اخصائيون ، الى اعداد واصدار فهارس ميسرة تدليلا بالكتاب وتعريفاً به .

يشهد الواقفون على الادب العربي المتتبعون لانتاجه وآثاره بضخامة هذا الادب بين طارف وتليد . انما هو ادب الوصول اليه غير ميسر لافتقاره الى وسائل التعريف به .

فقد عقدت العزم على ان اضع للثقافة العربية وآدابها فهارس ميسرة وانجزت من هذا العمل بعد دأب طويل، قسماً ضخماً سميته مصادر الثقافة العربية وقد تجمع لدي ما يناهز نصف مليون بطاقة .

وهذه هي الآن اهم اقسام هذه الموسوعة في مصادر الثقافة العربية :

معجم القصة والرواية العربية الموضوعة والمعربة — وهو يتضمن ما يربي على عشرة آلاف قصة مترجمة او معربة او موضوعة ، معه الى ذلك من البيانات والافادات البيبليوغرافية . والمعجم المذكور موطأ اليه بالمصادر والمراجع والاسناد التي تتعلق بفن الرواية والقصة .

المصادر العربية للتربية الحديثة — جمع كل ما كتب باللغة العربية عن التربية والتعليم بجميع اصوله وفروعه وما يتصل بهما من المسائل العامة مما له علاقة باغراض التعليم والبيداغوجية والمناهج المتبعة في الشرق والغرب . وفي هذا القسم ما يزيد عن خمسة عشر الف بطاقة .

معجم المستشرقين والمستعربين .

الادب العربي الحديث ١٨٠٠ — ١٩٥٠ في عشرة اجزاء .

معجم الاسماء المستعارة في الادب العربي الحديث .

***

من مقومات ثقافة الشعوب والامم الحديثة : المدرسة والمكتبة فهما ابداً متداعيان متعاقدان يأخذ احدهما باسباب الآخر . وهذا ما يفسر لنا كيف ان المكتبات في الدول الغربية تعد بالالوف وعشرات الالوف تعم نماؤها المدن الكبرى والصغرى .

وعليه نرى ان يقوم الى جانب كل مدرسة رسمية خزانة خاصة للكتب تتفق ودرجة تحصيل الفرقة ، يتمرن الطلاب على ارتيادها وعلى الرجوع الى ما فيها من الكتب لتعويدهم على القراءة والمطالعة .

فعبثاً يسعى المسؤولون في الاقطار العربية الى الاكثار من المدارس للقضاء على الامية فان لم يتموا عمل المدرسة بعمل المكتبة جاءت جهود الاولى مقصرة عن بلوغ الهدف المطلوب .

ومن الامور التي تساعد على التمكين للثقافة الحقيقية في البلاد انشاء دور الكتب والاكثار منها في حواضر القطر وقواعده الرئيسية . الا ان الغاية الاولى المتوخاة من تأسيس المكتبة على اختلاف درجتها لا تتم الا بركنين اساسيين : تخصص فني في الادارة ورصيد مختار من الكتب والمؤلفات يتسق والحركة العلمية . وما الشرط الثاني الا نتيجة محتومة للاول .

***

ان تطور الثقافة في الشرق العربي يقضي حتماً بايجاد معهد علمي لتخريج امناء فنيين للمكتبات العربية .

وقد اتضحت ضرورة الاخذ بهذا المعهد للجميع من الاخصائيين والفنيين وكبار المفهرسين فاجمعوا على المطالبة — قولا وعملا — بانشاء امثال هذه المعاهد في بلدانهم على اختلافها .

وقد فصّلنا كل ذلك باسهاب في مقال لنا نشرناه في مجلة الاديب (بيروت) في تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٤٦ .

***

كل من ينصرف للبحث العلمي المخدوم يرى اهمية البيبليوغرافيا وموضوعه تتبع المراجع والتقصي عن المصادر الاولية والثانوية ونقدها ونخلها . ولذا نقترح على المسؤولين عن توجيه التعليم الثانوي والجامعي ادخال كرسي يتولى تدريس علم البيبليوغرافيا العام والخاص ، وذلك في المعاهد الجامعية والكليات والمعاهد التعليمية الكبرى ودور المعلمين العليا يتناول على الاخص فيما يتناوله من المواد تتبع المراجع والمصادر المتعلقة بمواد الدروس التي تتكون منها لائحة معهد المكتبات .

***

سبق لنا فقلنا ان الادب العربي ادب ضخم سيان منه القديم والحديث . وتعريفاً بالاول منها وضع القدامى الفهارس المفصلة : فكان منها خيرها كالفهرست لابن النديم وكشف الظنون لحاجي خليفة ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده .

فاذا كان الاولون قد شعروا بهذه الحاجة الملحة للتعريف بالادب ونتاجه وهو بعد مخطوط فما عسى ان تكون شدة حاجتنا نحن الى التعريف بانتاج الادب الحديث بعد ان اشتدت حركة التأليف والنشر في العالم العربي .

ولذا نتمنى على كل من الحكومات العربية ان تقوم كل فيما يخصها ، بالتعاون مع المنظمات الثقافية ، على وضع فهارس مفصلة لانتاج الادب القومي على اختلاف مظاهره تضبط حركة النشر

وتتولى التعريف بها ، منذ ١٨٠٠ – ١٩٥٠ – وبالاعتماد على هذه الفهارس القومية او الاقليمية تتولى امانة الجامعة العربية وضع فهارس عامة للانتاج الادبي الحديث وهكذا تتبين الامة من هذا العرض العام مدى الشوط الذي قطعته وتستطيع سد الثغرات والثلمات التي تبدو فيه .

ثم ان الانتاج الادبي القومي لا ينحصر مظهره قط بما يصدر منه باللسان العربي . فهنالك ادباء كثر من العرب ألفوا وكتبوا ولا يزالون ، باللغات الاجنبية وبرزوا فيها ورفعوا اسم بلادهم عالياً بين الشعوب الغربية . فمن الواجب العمل على وضع فهارس مبسطة تضبط هذا الانتاج وهذا الاشعاع الثقافي العربي والتعريف به .

***

نرى من الضروري ان تقوم امانة جامعة الدول العربية بنشر مجموعة كاملة للمعاهدات والمواثيق السياسية والدبلوماسية التي عقدتها كل من الدول العربية بعضها مع بعض او بينها وبين الدول الاوروبية الكبرى . ففي اصدار مجموعة شاملة بنصوص هذه المعاهدات خدمة علمية للشرق والغرب وتسهيل سبل البحث والتتبع امام المؤرخ والسياسي الذي يود ان يبني احكامه على نصوص رسمية .

وهذه المجموعة يجب ان تكون على قسمين : الاول يجمع النصوص العربية لتلك الوثائق والمعاهدات المعقودة بين الدول العربية . اما القسم الثاني فيشتمل على النصوص الاصلية باللغات الاجنبية يقابلها الترجمة العربية الرسمية .

***

فيجب وضع فهرس عام يتناول بيان ما نقل ، في كل بلد من بلدان الدول العربية الى اللغة العربية . وهكذا تتبين الامة العربية ، على ضوء هذه الثبوت مدى الاشواط التي قطعتها والنقاط الضعيفة في ثقافتها التي تحتاج اكثر من سواها الى تقوية ، كما تتبين ، من جهة ثانية ، تفاعل الثقافة العربية وتمازجها بالثقافة الغربية .

واذ ذاك تعمد لجنة الثقافة العامة الى وضع قوائم توجيهية تحليلية تقترح فيها اسماء المؤلفات التي يجب ان تترجم الى اللغة العربية لسد الفراغ البادي في بعض فروع المكتبة العربية .

وتتمة لهذا الموضوع واستكمالاً له نقترح ايضاً على اللجنة الثقافية العامة وضع فهرس عام للمؤلفات العربية ولا سيما الحديثة منها ، التي تم نقلها الى اللغات الغربية الكبرى ولا سيما الانكليزية والفرنسية والالمانية والروسية والاسبانية . فيتبين الجميع بصورة واضحة مدى الاشعاع الثقافي العربي في الغرب .

من مميزات تاريخ الادب العربي الحديث لجوء كثيرين من الادباء حتى من كان في الطليعة منهم الى التأليف والكتابة باسماء مستعارة فالمؤرخ للادب العربي الحديث لا يمكن له ان يمر بهذه الظاهرة دون ان يدونها ويؤرخ لها ولقد رأينا ان نهتم بهذه الظاهرة ونعنى بها عناية خاصة من التتبع والتقصي فتجمع لدينا من اسماء الادباء مئات الاعلام دونا اسماءهم العينية والاسماء التي استعاروها على الوف البطاقات .

ولقد فطن احد اعلام الاستشراق الروسي وشيخ مستعربيهم الى هذا الامر الهام . فلفت اليه نظر الخاصة ممن يعنون بادب اللغة العربية والتأريخ له ، في مقال ممتع نشرته له مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق !

***

نرى ان ازالة بعض النقص الذي يفت من عضد ثقافتنا العربية انما يقوم باقبال الاخصائيين والفنيين الى سد الثلمة بالتآليف الموجودة . ولكن التأليف العلمي والفني لا سوق له رائجة في البلدان العربية لان الوعي الفكري والثقافي لم يبلغ بعد منسوباً من النهوض يستطيع معه المؤلف الاخصائي الذي يتفرغ لسد حاجة الثقافة من هذه الناحية ان يضمن لكتابه من الرواج ما يعوضه نفقة عمله من حيث الطباعة والنشر .

ولذا فنحن نرى ان التشجيع من قبل الحكومات العربية يجب ان يتناول الذين ينصرفون الى معالجة النقص البادي في فروع الثقافة العربية العلمية والفنية بنوع خاص ، والا يقتصر تشجيع التآليف على الناحية الادبية والتاريخية من حاجة الثقافة العربية .

***

وضعنا فيما تقدم من بحث ، اهم الاقتراحات التي نتمنى على جامعة الدول العربية الاخذ بها سريعاً للنهوض بالتراث العربي وايصاله الى مستوى الثقافة في الغرب .

ونحن نلفت فيما يلي انظار من يعنون بالتوجيه الثقافي والحركة العلمية في الشرق العربي الى وجوب الاهتمام بتنسيق الدراسات العربية ووضع شيء من النسبة والاضافة والتناسق بينها ، للقضاء على هذه الفوضى التي نلمسها في تلك الدراسات والظاهرة معالمها في كل من البلدان العربية ، كما تقضي على الاتجاهات المتضاربة والمتشابكة التي تهب من هنا وهنالك .

يوسف اسعد داغر



٢٣ حزيران – عقدت الكتلة الشرقية مؤتمراً في وارسو برئاسة مولوتوف للرد على مقررات مؤتمر بروكسل ومؤتمر لندن السداسي .

– تخلى جورج السادس ملك بريطانيا عن لقبه امبراطور الهند .

– تتأزم الحالة في برلين بين الحلفاء الثلاثة والروس، وقد فصل النقد بين منطقتي الاحتلال .

٢٥ – عقدت الحكومة البريطانية اربعة اجتماعات لبحث الحالة في برلين بعد تأزمها بين الكتلة الغربية والاتحاد السوفياتي .

– عهد الامير عبدالاله الى مزاحم الباجه جي بتأليف الوزارة العراقية .

– رشح الحزب الجمهوري المستر ديوي حاكم ولاية نيويورك الحالي لرئاسة الجمهورية .

٢٦ – انذر المستر تشرشل الحكومة البريطانية بوجوب اتخاذ موقف حازم تجاه روسيا لان ذلك هو السبيل الوحيد لاجتناب نشوب حرب عالمية ثالثة .

– سافر الملك عبدالله الى الرياض للاجتماع بالملك ابن سعود .

– طلب الملك ليوبولد الثالث من رئيس الوزارة البلجيكية استشارة جميع المواطنين بشأن عودة الملكية .

٢٧ – قدم برنادوت مقترحاته للدول العربية بشأن حل القضية الفلسطينية .

٢٨ – رفضت مصر رفع الحظر عن القوافل اليهودية التي تحمل المؤن الى اليهود في صحراء النقب .

– طردت روسيا المارشال تيتو من الحزب الشيوعي بتهمة التواطؤ مع الاستعماريين الغربيين .

– وقع الرئيس ترومان على قانون المساعدة الاميركية لليونان وتركيا والصين والاراضي المحتلة .

٢٩ – اصدر الملكان عبدالله وابن سعود بياناً مشتركاً عن محادثاتهما في الرياض اعلنا فيه تأييدهما للجامعة العربية وان العرب يد واحدة في تاييد عروبة فلسطين .

– بدأت الطائرات الاميركية والبريطانية تحمل المؤن الى برلين بعد ان منع السوفيات الاتصال البري مع برلين .

– اصدر الحزب الشيوعي اليوغوسلافي بياناً في براغ يستنكر فيه طرده من الكومنفورم ويعلن بأن الاتهامات التي وجهت اليه لا اساس لها من الصحة .

٣٠ – قرر حكام المانيا العسكريون ممثلو الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا دعوة الحكام الالمان لوضع دستور لالمانيا .

– غادر الملك عبدالله الرياض قاصداً بغداد .

– غادر فلسطين آخر جندي بريطاني .

١ تموز – ابلغ الروس الحلفاء الغربيين ان اعمال لجنة المراقبة الرباعية في برلين قد توقفت .

٢ – طالبت واشنطن في الاتحاد السوفياتي بان يعيد اليها كاسحات الثلوج و٢٨ بارجة حربية قدمتها اليه اميركا اثناء الحرب .

– طلبت السلطات السوفياتية من محافظة برلين التقيد باوامر الروس واهمال اوامر الحلفاء .

٣ – اعلن الملك عبد الله ان العرب قد رفضوا بالاجماع مقترحات برنادوت لحل المشكلة الفلسطينية وان ليس امام العرب بعد ذلك الا استئناف القتال .

٥ – تقدمت دولة الباكستان من الاوساط السياسية الغربية بمشروع لايجاد حلف شرقي بين دول الجامعة العربية والدول الشرقية الاسلامية .

٦ – نشبت ثورة عسكرية في البيرو وقد اعلنت حالة الطوارئ في البلاد .

– ارسل الحلفاء الغربيون الثلاثة مذكرات الى الاتحاد السوفياتي بوجوب رفع الحصار عن برلين .

٧ – قرر مجلس الامن تأييد اقتراح كادوغان بمناشدة العرب واليهود تمديد اجل الهدنة بفلسطين .

– زار الملك فاروق الجيش المصري في فلسطين .

– وقعت باريس ولندن على اتفاقية المساعدة الاميركية لانعاش اوروبا .

٩ – استأنفت الجيوش العربية هجماتها في سائر الجبهات الفلسطينية بعد هدنة الاربعة الاسابيع .

– وجه الكونت برنادوت نداء مستعجلاً الى العرب واليهود يدعوهم فيه الى وقف اطلاق النار وعقد هدنة في فلسطين مدتها عشرة ايام، مدة زيارته لمقر هيئة الامم المتحدة .

١٣ – عقد مجلس الامن جلسته الاولى بعد وصول الكونت برنادوت وشرع بمناقشة الاقتراح الاميركي القاضي بايقاف القتال في فلسطين بعد ثلاثة ايام وبالقدس بعد ٢٦ ساعة ، وتطبيق المادتين ٣٩ و٤٠ من الميثاق على كل من لا يتقيد بتنفيذ هذا الامر .

١٤ – لم يتخذ مجلس الامن اي قرار بشأن الاقتراح الاميركي .

– قامت مظاهرات عنيفة في شرقي الاردن ضد بريطانيا والدول الاجنبية .

– قررت اللجنة السياسية للجامعة العربية المجتمعة في عمان رفض الهدنة .

– اطلق الرصاص على زعيم الحزب الشيوعي بايطاليا وهو يغادر البرلمان .

١٥ – قرر مجلس الامن اتهام العرب بالعدوان واعتبر الحالة في فلسطين مهددة للسلام .

– اجابت موسكو على مذكرات الحلفاء الغربيين بأنها لن ترفع الحصار عن برلين .

١٦ – قبل اليهود الموافقة على قرار مجلس الامن بوقف القتال شرط ان يوافق العرب على ذلك .

١٨ – قررت الدول العربية وقف القتال في فلسطين ريثما يجد الكونت برنادوت حلاً سلمياً لفلسطين .

١٩ – هزت انباء الهدنة العالم العربي وقامت المظاهرات الصاخبة في عمان ودمشق وبغداد .

– افتتح مؤتمر لاهاي بحضور وزراء خارجية الدول الخمس الغربية لدراسة قضايا الدفاع المشترك .

– طالب هنري والاس بالغاء التجنيد الاجباري في اميركا .

٢٠ – استقالت الوزارة الفرنسية .

٢١ – وقعت المعاهدة الودية بين تشيكوسلوفاكيا ورومانيا .

– كلف المسيو اوريولي السيد اندريه ماريه بتأليف الوزارة الفرنسية الجديدة .

٢٢ – وجهت واشنطن انذاراً الى موسكو بأنها عازمة على البقاء في برلين .

مطابع صادر ريحاني – تلفون ٦٨ – ٦٢